معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين
في العصر البيزنطي الباكر

د. عبد العزيز رمضان
كلية الآداب-جامعة عين شمس

(بحث مقبول للنشر في مجلة وقائع تاريخية
التي يصدرها مركز البحوث والدراسات التاريخية
كلية الآداب-جامعة القاهرة
العدد ٢٤ يناير ٢٠١٦م)

معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين
في العصر البيزنطي الباكر

د. عبد العزيز رمضان

كلية الآداب-جامعة عين شمس

أطلق إيفانجيلوس خريسوس Evangelos Chrysos في عام ١٩٩٠م حكماً بأن "ما عكسته المصادر البيزنطية الباكرة عن التعقل كفضيلة أسمى للدبلوماسي، فضلا عن كون الدبلوماسي الحصيف هو المُقِل في حديثه عن ذاته، يمثل بوضوح أحد أسباب ندرة الإشارات المصدرية عن المبعوثين الدبلوماسيين"([١]). وإذا كان مايكل ويتباي Michael Whitby قد اعتبره حكماً "لم يُدخِل بالتأكيد في الاعتبار القرنين الخامس والسادس الميلاديين"([٢])، فإنه فيما يبدو لم ينظر أيضا بعين الاعتبار لجهد بحثي تم في ثمانينيات القرن الماضي، وتمخض عنه دراستان مهمتان تناولتا إضطلاع شرائح معينة من المجتمع بمهام دبلوماسية خلال العصر الباكر، والمقصود هنا دراسة روجر بلوكلي Roger Blockley عن دور الأطباء في دبلوماسية القرن السادس([٣])، ودراسة رالف ماثيسن Ralph Mathisen عن دور حاملي لقب البطريقية التشريفي *Patrici* كدبلوماسيين.([٤]) وتكمن أهمية هاتين الدراستين –رغم مناقشة الأولى لظاهرة

([١]) Chrysos, E., "Byzantine Diplomacy, A.D. 300-800: Means and Ends", in: *Byzantine Diplomacy: Papers from the Twenty-Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Cambridge, March 1990*, ed. J. Shepard & S. Franklin, Variorum, Hampshire, 1992, pp.25-39, esp.31.

([٢]) Whitby, M., "Byzantine Diplomacy: Good Faith, Trust and Co-operation in International Relations in Late Antiquity", in: *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France, Cambridge, 2008, pp.120-140, esp. 130 n.37.

([٣]) Blockely, R. C., "Doctors as Diplomats in the Sixth Century A.D.", *Florilegium* 2(1980), pp.89-100.

([٤]) Mathisen, R. W., "Patricians as Diplomats in Late Antiquity", *Byzantinische Zeitschrift* 79/1(1986), pp.35-49. وثمة دراسة أخرى أكثر حداثة لماثيسين، حملت عنوان "Patrici, episcope, et sapientes: le choix des ambassadeurs pendant l'antiquité tardive dans l'empire romain et les royaumes barbares", in: *Ambassadeurs at ambassades au Coeur les relations diplomatiques, Rome-Occident Médiéval-Byzance (VIIIe s. avant J.-C-XIIe s. après J.-C.)*, ed. A. Becker & N. Drocourt, Metz, 2012, pp.227-238, esp.228. ورغم ما

اقتصرت على عصر جستنيان وخلفائه، وما يرتبط بالثانية من مشكلات في الطرح، فضلا عن تناولها لشطري الإمبراطورية الشرقي والغربي- في كونهما أول مقاربة حقيقية لمعايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين خلال العصر البيزنطي الباكر.(٥) وقد خلصت هاتان الدراستان إلى أن الألقاب والمنزلة التشريفية، فضلا عن السمات الشخصية كانتا العاملين الحاسمين في عملية اختيار المبعوثين الدبلوماسيين، وهو الاتجاه الذي تبنته أيضا أحدث الدراسات المتخصصة في نظم الدبلوماسية البيزنطية الباكرة لإكاترينا نيتشايفا Ekaterina Nechaeva.(٦) وبالرغم من أن هذه الدراسة هي الأولى التي قاربت القضية بعامة وبشكل أكثر شمولاً، فإن هدفها اقتصر- كما أشارت نيتشايفا نفسها- على "تقديم بعض السمات العامة للآليات والأدوار التي تتعلق بمشكلة اختيار شخوص المهام الدبلوماسية خلال العصر الباكر"، مبررة ذلك بأن "بروسوبوجرافية(٧) prosopography المبعوثين موضوع معقد وواسع بشكل مفرط، ويحتاج إلي دراسة قائمة بذاتها".(٨)

يبدو في عنوان هذه الدراسة من أهمية، إلا أنها لم تطرح آراء جديدة أو تناقش مختلف معايير اختيار المبعوثين، وكل ما قدمته بضعة أسطر عامة وموجزة، أشبه بالإشارات الخاطفة، عن القدرات البلاغية ودور الأساقفة كمبعوثين Ibid, pp.228-229، بينما ركزت على معيار الألقاب التشريفية مكررة ذات الطرح الذي قدمته الدراسة الأولى. ويبدو أن ذلك ناتج عن محاولة ماثيسين الجمع بين الإمبراطورية الرومانية بشطريها الشرقي والغربي والممالك الجرمانية عبر العصر الباكر بأكمله في دراسة واحدة تتألف من اثنتا عشرة صفحة فقط.

(٥) رغم أن بداية ثمانينات القرن الماضي شهدت أيضا صدور دراسة لونغيس المعنونة "السفراء البيزنطيون في الغرب منذ تأسيس الدول البربرية حتى الحروب الصليبية"، فإن طول فترتها، وتناولها للسياسات والدبلوماسية بعامة شرقا وغربا في نحو ثلثي حجمها (ص١-٢٥٤)، فضلا عن تناولها في الربع الباقي (ص٢٥٥-٤٤٢) لمبعوثي بيزنطة وروما والممالك الجرمانية على السواء، واهتمامها الأكبر بالعصر البيزنطي الأوسط، جعلها لا تقدم الفائدة المرجوة لموضوع البحث. Lounghis, T.C., *Les ambassades byzantines en occident depuis la foundation des états barbares jusqu' aux croisades (407-1096)*, Athens, 1980.

(٦) Nechaeva, E., *Embassies, Negotiations, Gifts: Systems of East Roman Diplomacy in Late Antiquity*, Stuttgart, 2014, pp.117-131.

(٧) ظهر هذا المصطلح على يد المؤرخ البريطاني لاورينس ستون في مقالته الصادرة في عام ١٩٧١م. وهو علم حديث يُعنى بجمع سير الأفراد المنتمين لجماعة بعينها بغية التمهيد للباحثين لتحليل هذه السير وتَقَصي السمات المشتركة أو العامة لهذه الجماعة. Stone, L., "Prosopography", *Daedalus* 100/1(1971), pp.46-71. وأهم وأشمل الدراسات البروسوبوجرافية عن العصر البيزنطي الباكر: *The Prosopography of the Later Roman Empire*, vol.1: A.D.260-395, J.R. Jones & R.Martindale &J. Morris, Cambridge, 1971; vol.2: A.D. 395-527, J.R. Matindale, Cambridge, 1980; vol.3(A&B): A.D. 527-641, J.R. Matindale, Cambridge, 1992. وسيتم الإشارة إلى هذا العمل عبر البحث الراهن بالمختصر *PLRE*.

(٨) Nechaeva, *Embassies*, p.117.

وانطلاقا من توصية نيتشايفا، تسعى الدراسة الراهنة إلى مقاربة القضية في ضوء المتاح من مادة بروسوبوجرافية ومصدرية، وذلك عبر إحصاء إشارات مصادر العصر البيزنطي الباكر عن المبعوثين ووظائفهم وألقابهم التشريفية ومؤهلاتهم ووجهاتهم، في محاولة لتقييم الوزن النسبي لكل معيار، ومدى تأثير ظروف السفارة ودرجة أهميتها في تحديده. وهنا قد يكون من المشروع، رغم تباعد العالمين الغربي والبيزنطي واتخاذهما طريقين مغايرين منذ بداية القرن الخامس، الوضع في الاعتبار المعايير الخمسة التي خلص إليها أندرو جيليت Andrew Gillet في دراسته عن المبعوثين والاتصال السياسي في الشطر الغربي من الإمبراطورية خلال الفترة من ٤١١م إلي ٥٣٣م، وهي: (١)المنزلة والألقاب التشريفية، (٢)شغل وظائف عليا، (٣)الخبرات المتراكمة، (٤)المهارات والسمات الشخصية، (٥)القرب أو الحظوة لدى الإمبراطور.(٩)

وقد يكون من الأفضل البدء بـ"دراسة الحالة"التي أعدها رالف ماثيسين لعدد من المبعوثين الذين حملوا اللقب التشريفي "بطريق" *Patricius*، والتي اعتمد فيها كلية على المادة البروسوبوجرافية الواردة في *PLRE*، حيث سجل ماثيسين المدعو تاوروس Taurus كأول حالة لمبعوث دبلوماسي مُنح هذا اللقب من قبل قسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١م) Constantius II قبل ذهابه مبشارة بسفارة إلي أرمينيا في عام ٣٥٤م، وعلق على ذلك بقوله: "إن منح منزلة البطريقية لتاوروس كان لرفع منزلته، ربما لوجود شعور بضرورة ذلك في ظل ما سُجل عنه من أصل متدني. وأن ذلك كان غالبا النموذج المعتاد للأشخاص الذين تلقوا البطريقية خلال هذه الفترة، فغياب بطريقية تاوروس عن أي من القوانين التي وُجهت إليه تشي بأنه لم يُنظر إلي البطريقية كأمر ذو دلالة كما صار فيما بعد".(١٠) ويبدو أن ثمة إشكالية يثيرها تناول تاوروس كأولى الحالات الدالة على أهمية اللقب التشريفي كمعيار في اختيار المبعوث الدبلوماسي وقتذاك، ففضلا عن كونه استند إلي فرضية منحه اللقب قبل السفارة مباشرة، وهو الأمر الذي أُفترض حدوثه خلال عامي ٣٥٤-٣٥٥م(١١)، لم تكن الشرائح التي مُنحت هذا اللقب قبله -كما أقر ماثيسين نفسه- توحي بأية أهمية له في هذه السفارة.(١٢) ومن هنا قد يكون من الأفضل رد

---

(٩) Gillett, A., *Envoys and Political Communication in the Late Antique West 411-533*, Cambridge, 2003, pp.231-238.

(١٠) Mathisen, "Patricians", pp.42-43.

(١١) *PLRE*, I, p.879.

(١٢) يشير ماثيسين إلي تاوروس كأول حالة مؤكدة لموظف حظى بلقب البطريق وقت منحه، وأن البطارقة المعروفين قبله كانوا أشخاصا غير بارزين ممن نالوا حظوة إمبراطورية، منهم مثلا صهر حارس حانة (*PLRE*, I,

سبب اختيار تاوروس للاضطلاع بهذه السفارة لكونه شغل وقتذاك إحدى أهم وظائف الإدارة الحكومية المركزية، وهي وظيفة الكوايستور المسئول عن التشريع في القصر *comes et quaestor sacri palati* وأحد أفراد هيئة القوامسة *comites* القريبين من شخص الإمبراطور، وهي الوظيفة التي كانت بالتأكيد وقتذاك أكثر أهمية في المكانة والمنزلة من لقب البطريقية التشريفي.(١٣)

ومما يشير إلي أن الوظيفة كانت في ذلك الحين أكثر أهمية من اللقب التشريفي في اختيار المبعوثين الدبلوماسيين أنه بعد سفارة تاروروس بأربع سنوات، وتحديدا في عام ٣٥٨م، أرسل قسطنطيوس سفارة للتفاوض على شروط الصلح إلي الدولة الفارسية –وهي القوة الأكثر أهمية على الإطلاق في سياسات الإمبراطورية وقتذاك– اضطلع بها كل من بروسبير Prosper قومس الشئون العسكرية(١٤) *comes rei militaris* والنوتاريوس *notarius* سبيكتاتوس Spectatus أحد موظفي الطبقة الأولى من هيئة السكرتارية الإمبراطورية *schola*

---

p.650) وابن خادم أحد الحمامات (*PLRE*, I, p.243). انظر: Mathisen, "Patricians", p.42; Mathisen, "Patrici", p.231; Ganshof, F.L., "Note sur les origins byzantines de titre 'Patricius Romanorum'", *Annuaire de l' institute de philology et l' histoire orientales et slaves* (Mélanges Henri Gregoire) 10(1950), pp.261-82.

(١٣) Ammianus Marcellinus, trans. J.C. Rolfe, 3 vols., Loeb Classical Library, London, Cambridge, Mass., 1935-1939, I, p.96. [*Taurus quaestor ad Armenian missus*]; *The Roman History of Ammianus Marcellinus*, trans. C.D. Yonge, London, 1902; *PLRE*, I, p.879. في النصف الأول من القرن الخامس يشير السجل الخاص بالمناصب المدنية والعسكرية المعروف باسم *Notitia Dignitatum* إلى وظيفة الكوايستور بوصفها إحدى وظائف المرتبة الأعلى *viri illustris* *quaestoris*. انظر: *Notitia Dignitatum*, ed. O. Seeck, Berlin, 1876, p.34.

(١٤) *comites* أو القوامسة، مصطلح يعني في الأصل "الرفقاء"، أي رفقاء الإمبراطور من كبار الموظفين أثناء رحلاته الخارجية. ومنذ عصر قسطنطين صار لقباً لبعض شاغلي الوظائف العامة، أو لقباً تشريفياً يُمنح كمكافأة على خدمة استثنائية أو عن طريق الشراء. ولكونهم لصيقين للإمبراطور والبلاط فقد عُهد إليهم بمهام متعددة كنواب للإمبراطور، سواء في الشئون المدنية أو العسكرية. وكانت هنالك ثلاث مراتب من القوامسة: *comites primi* و *comites secundi* و *comites tertii ordinis*، ويبدو أن هذه المراتب الثلاث صُنفت وفقا للمنزلة كـ "رجال لامعين" *viri illustris* و"رجال مبجلين" *viri spectabilis* و"رجال شرفاء" *viri clarissimi* على التوالي. وضمت الرتبة الأولى قومس المالية والخزانة العامة *comes sacrarum lagitionum* وناظر الخزانة الخاصة *comes rerum privatarum* والكوايستور المسئول عن التشريع في البلاط *comes et quaestor sacri palatii*، فضلا عن رئيس دواوين الحكومة المركزية *comes et magiser officiorum*، وهؤلاء شكلوا ما يُعرف بقوامسة المجلس الإمبراطوري *comites consistoriani*، ويرأسهم الإمبراطور مباشرة، وفي حالة غيابه يرأسهم كوايستور التشريع. *Notitia Dignitatum*, ed. Seeck, pp.34, 35,37; Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.xxix-xxx

notariorum، الحاملين للقب "تريبيون" *tribunus* بحكم وظيفتهم.(١٥) وهي السفارة التي رد بلوكلي –وتبعته في ذلك نيتشايفا–إخفاقها إلي عدم قناعة الملك الفارسي بها لكونها "سفارة ذات مستوى أدنى ضمت مبعوثين من المرتبة الوظيفية الثانية *spectabilis*"، واعتبرها سببا في حدوث نوع من التحول في عملية اختيار المبعوثين إلي فارس؛ فوفقا لقوله أنه منذ هذه السنة صارت "كافة السفارات المُرسلة إلي الفرس، والتي يمكن تحديد هوية شخوصها، تحت قيادة أحد مبعوثي المرتبة الأولى (اللامعين) *illustris*".(١٦)

ويستند هذا الرأي إلي رواية يونابيوس Eunapius في كتابه "حياة الفلاسفة" *Vita Sophistarum*، ويتحدث فيها عن الفيلسوف يوستاثيوس Eustathius، المرافق للسفارة، وكيف أنه نجح ببلاغته وفصاحته في إثارة إعجاب الملك الفارسي أثناء مرافقته له على مائدة الطعام إلي المدى الذي دفع الأخير إلي خلع عباءته الأرجوانية وتاجه وارتداء عباءة يوستاثيوس نفسه، الأمر الذي أثار حفيظة وحقد كبار أفراد الحاشية، فأوعزوا إلي الملك بأنه "ليس إلا مجرد مشعوذ"، واقنعوه بالرد على الإمبراطور بكونه "لم يرسل أشخاصا أفضل حالا من العبيد".(١٧) إلا أنه من الصعب الوثوق في رواية بهذه الصيغة، ففضلا عن كونها تنم عن معالجة أدبية تكرر صداها في الروايات التاريخية اللاحقة(١٨)، فإنها لا تنسجم مع رواية أميانوس ماركيللينوس Ammianus Marcellinus –المصدر التاريخي الوحيد الذي أورد خبر هذه السفارة– التي لم

(١٥) Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.338-339; trans. Yonge, pp.136, 158; Ammianus Marcellinus, *The Later Roman Empire A.D.354-378*, trans. W. Hamilton, Penguin Books, London, New York, 1986, p.125. كانت هيئة السكرتارية الإمبراطورية المعروفة بالنوتارية *viri spectabilis primicerii notariorum* تضم ثلاث رتب من الموظفين، أعلاها تشمل الموظفين الذين يحضرون المجلس الإمبراطوري *consistorium* والمعروفين بـ *tribune et notarii principis*. وبالإضافة إلى مهامهم في الكتابة والتسجيل، اضطلعوا أحيانا بمهام خاصة في الخارج كمراقبة الأشخاص غير محل الثقة الإمبراطورية. وغالبا ما كانوا يترقون إلى المناصب العليا في الإمبراطورية. *Notitia Dignitatum*, ed. Seeck, p.42; Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, pp. xliii, xliv, 339 n3; Jones, A.H.M., *The Later Roman Empire 284-602: A Social, Economic and Administrative Survey*, Oxford, 1964, II, pp.574-575. وانظر أيضا: وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية بين الاستمرارية والانقطاع"، بحث منشور ضمن كتاب بيزنطة: قراءة في التاريخ السياسي والإداري، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤١–٤٢.

(١٦) Blockley, R., *East Roman Foreign Policy. Formation and Conduct from Diocletian to Anastasius*, Leeds, 1992, p.153; Nechaeva, *Embassies*, p.118.

(١٧) Eunapius, *The Lives of the Sophists*, trans. W.C. Wright, London, New York, 1922, pp.397-399.

(١٨) أنظر تناول البحث اللاحق لدور الفلاسفة كمبعوثين.

تسجل شيئا يوحي بعدم قناعة الملك الفارسي المفترضة، وإنما ردت سبب فشل مهمة السفارة صراحة إلي تضارب وجهات النظر البيزنطية–الفارسية بشأن تسوية الخلاف حول أرمينيا وميسوبوتاميا وتعنت الملك الفارسي في هذا الشأن([١٩]). كذلك لا تتسق رواية يونابيوس مع نوعية المبعوثين المشاركين في السفارة الثانية التي أرسلها قسطنطيوس إلي الملك الفارسي في العام التالي مباشرة (عام ٣٥٩م)، والتي قام بها موظفان من ذات الدرجة الوظيفية، هما ليكيليانوس Licillianus قومس الحرس الإمبراطوري الخاص([٢٠]) المعروف باسم *comes domesticorum* والنوتاريوس بروكوبيوس Procopius([٢١])، وهي نوعية لا تشي مطلقا بامتعاض الفرس من السفارة الأولى، ولا تدل على حدوث أي تغير لاحق في سياسة قسطنطيوس تجاه اختيار مبعوثيه إليهم.

ويبدو أن توظيف مبعوثين من ذات الدرجة الوظيفية استمر لبضع سنوات من بعده، إذ أن أخر مثال يمكن رصده للمبعوثين القوامسة إلي الفرس يتمثل في أرينثايوس Arinthaeus قومس الشئون العسكرية([٢٢]) *comes rei militaris* الذي أوفده الإمبراطور جوفيان (٣٦٣–

([١٩]) Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.401-403; trans. Yonge, p.158; trans. Hamilton, p.142; *PLRE*, I, p.850.

([٢٠]) كان يُشار بهذا المسمى الوظيفي إلي كل من قومس الحرس الخاص من الفرسان *comes et magister domesticorum equitum* وقومس الحرس الخاص من المشاة *comes et magister domesticorum peditum*، وكلاهما يندرجان ضمن شاغلي وظائف البلاط *dignitates palatinae*. وكانت وظيفتهم تنتمي إلى المرتبة الثانية *spectabilis*، ربما حتى أواخر القرن الرابع. وقد عُرفت هذه الوظيفة منذ فترة مبكرة من التاريخ الروماني، إذ كان شاغلها خلال العصر الجمهوري مساعدا للقيصر ويُعين من قبله مباشرة، ولعب دورا مهما على نحو خاص خلال الفترة من ٤٩ق.م إلى ٤٤ق.م بسبب الغياب المتكرر للقيصر عن إيطاليا. ومع بداية العصر الإمبراطوري نقل أوغسطس سلطاته إلي الوالي البرايتوري. وكان من ضمن إجراءات قسطنطين للحد من سلطة الوالي البرايتوري حل فرقة الحرس البرايتوري وتوزيع مهامها على الـ *domestici* والـ *protectores* تحت قيادة قوامسة الحرس الخاص *comites domesticorum* من جهة، وفرقة الحرس الإمبراطوري *schola palatinae* تحت قيادة رئيس الدواوين من جهة أخرى. Ammianus Marcellinus, trans.Rolfe, pp.xlii-xliii.

([٢١]) Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.403, 445; trans. Yonge, p.159; *PLRE*, I, pp.517-18, 742-743.

([٢٢]) كان قوامسة الشئون العسكرية مسئولين عن التجنيد والتعيينات العسكرية، يأتون بعد الأدواق في المرتبة، ويخضعون للإشراف المباشر لقوامسة الحرس الخاص للفرسان والمشاة. أغلب الظن أن هذه الوظيفة ظهرت في عصر قسطنطين وصار شاغلوها مشرفين على قادة الحدود *praepositus limitis*، وانتموا إلى المرتبة الوظيفية الثانية *spectabilis*. لمزيد من التفاصيل انظر: Gómez, M.P.S., "Constantine, Constance and the *Comes Rei Militaris* (306-350)", *https://www.academia.edu/12441003/Constantine_Constans_and_the_Comes_Rei_Militaris_306-350*

٣٦٤م) Jovian في سفارة إلي الملك الفارسي عام ٣٦٣م للتفاوض حول شروط الصلح.([٢٣]) ويحتل أرينثايوس الخانة الثانية في قائمة ماثيسين عن المبعوثين البطارقة رغم تشكيك *PLRE*([٢٤]) في هذه الاحتمالية المستندة إلي إشارة أوردها مؤرخ القرن السادس حنا مالالاس John Malalas في سياق حديثه عن المبعوث الذي أوفده الملك الفارسي –قبل هذه السفارة– إلي جوفيان للتفاوض حول الصلح، وجاء فيها: "لأن الإمبراطور شعر بأن علو مكانته لا تتناسب مع عقد اتفاق مع مبعوث فارس، فقد اختار عضو السناتو البطريق أرينثايوس وعهد إليه بالأمر مع وعد بأن يوافق على ما يلتزم به من شروط".([٢٥]) وبغض النظر عما إذا كان مالالاس المتأخر عن الحدث قد اختلط عليه الأمر أم لا بشأن بطريقية أرينثايوس، فإن إشارته إليه بصفته رجل سناتو *vir illustres*، وكون الأخير يشغل وظيفة من المرتبة الثانية *spectabilis*، أمرا يشي بتناقض لا يمكن تفسيره لصالح اتجاه ماثيسين. ومن هنا يمكن القول بأن مشاركة أرينثايوس في حملة جوليان (٣٦١-٣٦٣م) Julian الفارسية ووظيفته كقومس للشئون العسكرية واضطلاعه بالتفاوض حول شروط الصلح مع المبعوث الفارسي ربما شكلت في مجملها اعتبارات كانت أكثر أهمية من وجهة النظر الإمبراطورية من أية منزلة التشريفية.

وبأية حال ربما تقدم هذه السفارة النموذج الوحيد لمبعوث من شاغلى وظائف البرايتورية إلي بلاد فارس، إذ شارك فيها والي الشرق البرايتوري *praefectus praetorio per Orientem* سالوتيوس Salutius([٢٦])، ربما كمبعوث مساعد([٢٧])، خاصة بعد ما شهدته هذه

([٢٣]) Ammianus. Marcellinus, trans. Yonge, p.393; trans. Hamilton, p.303; Zosimus, *The The New History*, trans. R.T. Ridley, Sydney, 2006, p.66; *PLRE*, I, pp.102-103.

([٢٤]) الغريب في الأمر أن ماثيسين حدد ٣٦٣م كتاريخ لبطريقية أرينثايوس اعتمادا على *PLRE*، رغم أن الأخيرة لم تشر إلي حصوله على أي لقب تشريفي باستثناء القنصلية، وكان ذلك في عام ٣٧٢م، أي بعد نحو عِقد من سفارته. *PLRE*, I, pp.102-103.

([٢٥]) John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys & R. Scott, Melbourne, 1986, p.182. ورد خبر هذه المفاوضات أيضا في الحولية الفصحية، التي نقل كاتبها الكثير عن مالالاس، وجاء فيها: "اختار الإمبراطور جوفيان أحد رجال السناتو، هو البطريق أرينثايوس، وفوض إليه الأمر كله متعهدا بإجازة كل ما يقره، أو –إذا ما رغب– يفوض السناتو بالتفاوض مع المبعوث الفارسي لبلوغ شروط الصلح. ذلك لأن جوفيان كان منشغلا عن هذا الأمر". *Chronicon Paschale 284-628 A.D.*, trans. M. & M. Whitby, Liverpool, 1989, p.42.

([٢٦]) Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, p.393; trans. Hamilton, p.303; Zosimus, *New History*, p.66; *PLRE*, I, pp.814-817.

([٢٧]) يدرج ماثيسين البرايفكت سالوتيوس ضمن قائمته عن "المبعوثين البطارقة"، رغم أن *PLRE* تشكك في حصوله على لقب البطريقية وتؤكد أن ذلك وإن صح فلابد وأنه تم بعد انسحابه من الحياة العامة بسبب شيخوخته في عام

الوظيفة من تغيرات جوهرية على يد الإمبراطور قسطنطين هدفت إلي الحد من سلطاتها وصلاحياتها([٢٨])، الأمر الذي أدى إلي إضعافها وظهور وظائف عسكرية جديدة، أهمها القائد أو الحاكم العسكري *magister militum*.([٢٩])

٣٦٧م. والغريب في الأمر أن ماثيسين يثبت *PLRE* كمصدر لتاريخ بطريقية سالوتيوس، ويحدده بعام ٣٦٣م. Mathisen, "Patricians", p.38; *PLRE*, I, p.816.

([٢٨]) كان الوالي البرايتوري مع بداية الإمبراطورية الرومانية موظفا عسكريا وقائدا لفرقة الحرس البرايتوري، واستطاع أن يحرز تدريجيا سلطة كبيرة أهلته لأن ينوب عن الإمبراطور حال غياب الأخير عن روما، وجعلت صلاحياته تتجاوز بكثير قيادة الحرس البرايتوري؛ ففي عهد دقلديانوس كان على رأس القيادة العسكرية ويتولى في ذات الوقت الإشراف على الحكومة المركزية. وعندما اعتلى قسطنطين العرش عمد إلى اضعاف فرقة الحرس البرايتوري واستبدالها بفرق الحرس الخاص *protectores et domestici* والحرس الإمبراطوري *schola palatinae*، ومنذئذ تحولت وظيفة الوالي إلي وظيفة مدنية دون أية اختصاصات عسكرية. كذلك اتجه قسطنطين إلي استحداث مزيد من الولاة، فعين واحدا لغالة *praefectus per Gallias* وأخرا للشرق *praefectus per Orientem*، وأُضيف إليهما لاحقا والي لإليريا *praefectus per Illyricum*، وبذلك صار هناك والي لكل قسم من أقسام الإمبراطورية الإدارية الأربع الكبرى (غالة وإيطاليا وإليريا والشرق). ورغم هذه التغيرات إلا أن سلطة الوالي ظلت كبيرة في شئون الإدارة المدنية لولايته، وظل يُصنف ضمن طبقة الـ *Viri illustris*. *Notitia Dignitatum*, ed. Seeck, pp.5,8; Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, p.xxxi. وانظر أيضا: وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية"، ص٤١. ويرى سالوي Salway أنه بدلا من إرجاع التحول الذي حدث لهذه الوظيفة إلى الرغبة في تقليص سلطات الوالي البرايتوري، علينا البحث عن السبب في الحاجة إلى توسيع نطاق الإدارة الإمبراطورية لإشباع حاجات تزايدت مع الزمن. Salway, R.W.B., *The Creation of the Roman State, AD 200-340: Social and Administrative Aspects*, PH.D. Thises, The Queen's College, Oxford, 1994, pp.109-111.

([٢٩]) حدث في النصف الثاني من القرن الرابع دمج في وظيفتي قوامسة الحرس الخاص من الفرسان والمشاة، وصار يتولاها أحيانا شخص واحد يُعرف بقائد المشاة أو الفرسان *comes et magister equitum et peditum* أو قائد القوتين *comes et magister utriusque militae*. وظل يُشار إليها أيضا بالمسمى القديم *comes domesticorum* خلال القرن السادس. Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.xxxiv. ويبدو أن هذا التغيير تزامن مع تحول في المرتبة الوظيفية، حيث أشار *Notitia Dignitatum* إلي شاغليها بمسمى القوامسة مع إدراجهم ضمن المرتبة الأولى *viri illustris*. *Notitia Dignitatum*, ed. Seeck, pp.11, 19, 23, 27,39. كذلك صار للوظيفة دلالة مكانية بعدما عين قسطنطيوس ثلاثة منهم في الولايات (الشرق *magister militum per Orientem* وإيطاليا *magister militum per Italiam* وغالة *magister militum per Gallias* وإليريا *magister militum per Illyricum*). وفي النصف الأول من القرن الخامس يشير سجل *Notitia Dignitatum* إلى وجود خمسة منهم في الشرق وثلاثة في النصف الغربي. كذلك ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس وظيفة قائد القوات المقيمة *magister militum praesentalis*، ومقره في العاصمة الإمبراطورية. والجدير بالذكر، أن تعيين أولئك الموظفين أحدث تغيرا في تنظيم الجيش، إذ صار يتألف من قوات حرس الحدود المعروفين باسم *limitanei*، وقوات الميدان بقيادة الـ *magistri militum* والمعروفة باسم

وكان من الطبيعي أن تترك هذه التغيرات أثرا واضحا في طبيعة ونوعية وظائف المضطلعين بالسفارات؛ فمنذ عهد الإمبراطور فالنز (٣٦٤-٣٧٨م) Valens صار هؤلاء القادة وجها مألوفا في سفارات بيزنطة إلى الخارج. كذلك يمكن ملاحظة أنه منذ هذا العهد أيضا بدأت ملامح معيار جديد لاختيار المبعوثين تطفو على السطح إلي جانب المعيار الوظيفي، وهو معيار الخبرة المكتسبة سواء عبر اضطلاع الموظف ذاته بأكثر من مهمة دبلوماسية أم من خلال توظيف أصله العرقي والجغرافي ليتناسب مع الجهة المُوفد إليها([٣٠])؛ فمن الواضح أن فالنز عند اختياره لأرينثايوس كمبعوث إلي القوط شمال الدانوب في عام ٣٦٩م كان يضع في اعتباره الخبرة التي اكتسبها خلال سفارته السابقة إلي الفرس في عام ٣٦٣م إلي جانب وظيفته كقائد للمشاة *magister peditum* (٣٦٦-٣٧٨م).([٣١]) ولا شك أيضا في أن معيار الخبرة المكتسبة، فضلا عن الوظيفة، كان حاضرا بقوة في حالة فيكتور الصرمطي Victor the Sarmatian، قائد الفرسان *magister equitum* خلال الفترة (٣٦٣-٣٧٩م)، عند اختياره من قبل فالنز للاضطلاع بأربع سفارات إلي القوط شمال نهر الدانوب([٣٢]) والفرس خلال الفترة

---

comitatenses، والحرس الإمبراطوري *palatini* بقيادة رئيس الدواوين، الذي اضطلع أيضا بالحراسة الشخصية للإمبراطور. Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.xxxiv-xxxv. وانظر أيضا: وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية"، ص٤١-٤٢.

([٣٠]) يبدو أن توظيف الأصل العرقي للمبعوث، إلي جانب وظيفته، بدأ منذ خمسينيات القرن الرابع، خاصة وأن لدينا حالة الأسقف ثيوفيلوس الهندي Theophilus the Indian الذي أوفده الإمبراطور قسطنطيوس لتنصير عرب اليمن (الحميريين *Himyarites*) والقيام بـ "مهام أخرى" في بلاد الأحباش *Aksumites* والهنود. Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Leiden, Boston, 2007, pp.40-43.

([٣١]) Ammianus Marcellinus, trans. W. Hamilton, p.337; trans. Yonge, p.446.

([٣٢]) بدأ فيكتور الصرمطي نشاطه الدبلوماسي بسفارتين إلي القوط شمال نهر الدانوب في عامي ٣٦٦م و ٣٦٩م، كانت الأولى بهدف سؤالهم عن سبب دعمهم للقائد الثائر بروكوبيوس، أما الثانية فكانت لمفاوضتهم حول الصلح واختيار المكان المناسب لعقده بعد اعتذار القوط عن هذا الدعم، وصاحبه في هذه السفارة أرينثايوس. ومن المرجح أن أصله الصرمطي لعب دورا في اختياره مبعوثا لهذه الوجهة. Ammianus Marcellinus, trans. Hamilton, pp.336, 337; trans. Yonge, pp.445, 446. والصرامطة *Sarmatai* أو *Sauramatoi* هم شعب بدوي وفد من القوقاز واستقر في منطقة السهوب شمال البحر الأسود، واللان Alans فرع منه. هاجمهم القوط شمال نهر الدانوب في القرن الثالث وتسيدوا عليهم، ومع اختلاطهم بالأخيرين صارت هويتهم غامضة، حتى أن فازيليف يقترح أن صرامطة سواحل بحر أزوف Azov المُشار إليهم عند زوسيموس هم من القوط. ويشير كتاب القرن الرابع إلى حصولهم على تصريح من قسطنطين وقسطنطيوس بالاستقرار في تراقيا ومقدونيا وإيطاليا وولايات أخرى. Vasiliev, A., *Goths in the Crimea*, Cambridge, Mass., 1936, pp.22f; Pritsak, O., "Sarmatians", *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols., Oxford, 1991, III, p.1844.

من ٣٦٦م إلي ٣٧٨م.(٣٣) وخلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وتحديدا في عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) Theodosius II، نصادف حالة أناتوليوس Anatolius، القائد العسكري للشرق *magister militum per Orientem* (٤٣٣-٤٤٦م)، الذي أُرسل في سفارتين إلي الفرس في عام ٤٢٢م(٣٤)، وثلاث سفارات إلي آتيلا في أعوام ٤٤٣م و٤٤٨م و ٤٥٠م.(٣٥)

وهنا قد يكون من الأفضل التوقف قليلا لمناقشة مدى أهمية المنزلة التشريفية التي حملها بعض هؤلاء المبعوثين كمعيار لتكليفهم بهذه المهام الدبلوماسية، خاصة أن من بينهم ثلاثة حصلوا على لقب قنصل *consul*، أعلى وأسمى الألقاب التشريفية في ذلك الحين. ففيكتور ناله في عام ٣٦٩م(٣٦)، أي بعد سفارته إلي القوط في عام ٣٦٦م وربما أيضا بعد سفارته الثانية إليهم في عام ٣٦٩م، وحتى إن افترضنا حصوله على اللقب قبل هذه السفارة فمن الصعب الربط بين الأمرين، خاصة وأن وضع القوط شمال نهر الدانوب وقتذاك لم يكن بالأهمية التي تستدعي إرسال مبعوث برتبة قنصل. ويبدو أن منح فيكتور القنصلية كان من قبيل التكريم والمكافأة له على ما قدمه من خدمات للإمبراطورية سواء في وظيفته أم في سفارتيه، كذلك من المرجح أن ذهابه في سفارتيه الأخيرتين إلي فارس كان توظيفا من السلطة الإمبراطورية لعنصر الخبرة التي اكتسبها قبلا خلال سفارتيه السابقتين إلى القوط أكثر من كونه ارتبط بمنزلته

---

(٣٣) اضطلع فيكتور بسفارتين إلي الفرس في أعوام ٣٧٤م و٣٧٧-٣٧٨م ، صاحبه في الأولى أوربيكيوس Urbicius دوق ميسوبوتاميا *dux Mesopotamiae*، وكانت ردا على سفارة فارسية وفدت إلي بيزنطة للتفاوض حول تنازل البيزنطيين عن أرمينيا، أما الثانية فقد اضطلع بها منفردا بهدف مفاوضة الفرس على عقد الصلح بعد اضطرابات القوط في تراقيا. Ammianus Marcellinus, trans. Hamilton, pp.390-391, 422; trans. Yonge, pp.549-550; *PLRE*, I, pp.983, 957-959. ولا شك في أن اضطلاع فيكتور بهاتين السفارتين كان نوعا من التوظيف لخبراته الدبلوماسية السابقة مع القوط شمال الدانوب، ولأن جبهة الفرس كانت جديدة عليه فقد عاونه في سفارته الأولى إليها شخص ذو خبرة بها بحكم وظيفته، وأعني به دوق ميسوبوتاميا.

(٣٤) ذهب أناتوليوس في السفارة الأولى إلي الفرس كمرافق لرئيس الدواوين هيليون Helion للتفاوض حول شروط الصلح، وفي الثانية لعقد معاهدة السلام. Procopius, *History of the Wars*, 5 vols., ed. & trans. H.B. Dewing, The Loeb Classical Library, Cambridge Mass., London, 1992, I, pp.11-12; Theophanes Confessor, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997, p.136.

(٣٥) كانت السفاراتان الأولى والثانية للتفاوض وعقد الصلح، أما الثالثة فكانت لتهدئة غضب آتيلا وإقناعه بالمحافظة على الصلح القائم مع البيزنطيين بعد اكتشافه مؤامرة فاشلة دُبرت في البلاط البيزنطي لقتله. Priscus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.237, 239,253, 297, 299, 301; *PLRE*, II, pp.84-86.

(٣٦) *PLRE*,I, pp.957-959.

التشريفية. ورغم أن اضطلاع فيكتور "القنصل" بسفارتين مَثّل سابقة تكررت ثانية في حالة بلينثاس القوطي، القائد العسكري المقيم في العاصمة *magister militum praesentalis* (٤١٩–٤٣٨م) والقنصل منذ عام ٤١٩م، الذي خرج بسفارة إلي الهون شمال الدانوب في عام ٤٣٨م([٣٧])، إلا أنه لم يسجل تغيرا جوهريا في سياسة اختيار المبعوثين الدبلوماسيين فيما بعد، فأناتوليوس نفسه لم يحصل على القنصلية إلا في عام ٤٤٠م، كما أن منحه لقب بطريق –رغم كونه الأدنى– تم خلال الفترة من ٤٤٧م إلي ٤٥١م([٣٨])، أي بعد نحو عقدين من قيامه بسفارتيه إلي الفرس عام ٤٢٢م. وعلى ذلك يمكن القول بأن اللقب التشريفي كان بالنسبة لفيكتور وأناتوليوس تكريما على مهامهم الدبلوماسية أكثر من كونه معيارا لاختيارهم لها.

ولعل إرسال سفارات إلي الهون يرأسها مبعوثون برتبة قنصل، وأعنى هنا سفارات بلينثاس في عام ٤٣٨م وأناتوليوس في عامي ٤٤٣م و٤٤٨م([٣٩])، أمرا يفسر سر غضب آتيلا ورفضه استقبال السفارة التي أُرسلت إليه في عام ٤٤٩م للتصديق على المعاهدة التي تم الاتفاق عليها بين أناتوليوس وآتيلا في عام ٤٤٨م، وهي السفارة التي ضمت مبعوثا يُدعى ماكسيمينوس Maximinus، ليس من المعروف وظيفته أو رتبته، والمترجم فيجيلاس Vigilas والمؤرخ الشهير بريسكوس.([٤٠]) فطبقا لرواية بريسكوس نفسه، أرسل آتيلا مبعوثه إيديكو Edeco إلي البلاط البيزنطي يطلب أن تأتيه سفارة تضم مبعوثين من "مرتبة القناصلة الأسمى" وليس من مجرد أناس عاديين، وأنه إذا كان البيزنطيون يخشون من ذلك، فسوف يكون في استقبالهم بنفسه.([٤١]) ويواصل بريسكوس روايته بقوله أن الإمبراطور أمر ماكسيمينوس بالتحدث إلي آتيلا شخصيا واخباره بأن مبعوثه إليه –أي ماكسيمينوس نفسه– "رجل ذو نسب عريق ومؤتمن في الأمور بالغة الأهمية"، وأن آتيلا ليس بحاجة إلي "طلب مبعوثين من المنزلة العليا للحضور إليه، لأن ذلك لم يكن الحال مع أسلافه أو مع أي من زعماء سكيثيا Scythia الأخرين، الذين

([٣٧]) كانت هذه السفارة للتفاوض وعقد الصلح مع آتيلا Attila. Priscus, pp. 222-400; esp.225-226; *PLRE*, II, 892-893.*PLRE*, II, 892-893. ويبدو أن اعتبار الأصل العرقي لبلينثاس كان حاضرا عند اختياره للاضطلاع بهذه السفارة.

([٣٨]) *PLRE*, II, pp.84-86.

([٣٩]) هناك سفارة أخرى أرسلها ثيودوسيوس الثاني قبل عام ٤٤٣م ترأسها أحد رجال السناتو من حاملي منزلة القنصلية بهدف التفاوض على شروط الصلح. Priscus, p.237

([٤٠]) Priscus, p.247.

([٤١]) Priscus, p.243.

كان يُرسل إليهم جنود ورسل عاديون كمبعوثين".([٤٢]) وهو الرد الذي أغضب آتيلا، وبالرغم من موافقته على مقابلة المبعوث البيزنطي، بعد جهد كبير لإقناعه بذلك، فإنه رفض التفاوض معه مكررا طلبه بمبعوثين قناصلة دون غيرهم، أو على حد قول بريسكوس: "إن الملك البربري شدد على رغبته في أن يأتيه قناصلة من أمثال نوموس Nomus أو أناتوليوس أو سيناتور Senator.. وأنه في حالة عدم تلبية رغبته، فسيعمد هو بنفسه على تسوية الخلافات القائمة بقوة السلاح".([٤٣])

ويعول بعض الباحثين أهمية كبيرة على هذه الرواية للتدليل على أهمية المنزلة التشريفية كمعيار أساسي، وربما الأهم على الإطلاق، في اختيار المبعوثين الدبلوماسيين([٤٤])؛ وراح أولئك الباحثون يناقشوها في سياق ما طرحوه من فرضية اختلاف نوعية المبعوثين المُوفدين إلي الفرس وغيرهم من الشعوب البربرية؛ فيتخذها بلوكلي شاهدا على أن البيزنطيين الأوائل "كانوا بوجه عام متحفظين في استخدامهم لمبعوثين من مرتبة الـ *illustres* إلا فيما يتعلق بالفرس"، كما يفترض أنه في العلاقات مع الشعوب الأخرى كانت أهمية المهمة الدبلوماسية هي التي تحدد منزلة المبعوث.([٤٥]) أما نيتشايفا فتذهب إلي أن "تقليد إرسال مبعوثين ذو مرتبة تشريفية عليا ربما كان يمثل مظهرا أساسيا للحوار السياسي بين البيزنطيين والفرس، وأن الانحراف عن هذا النموذج كان من شأنه أن يؤدي إلي فشل المهمة الدبلوماسية إو إلي اندلاع النزاع. أما البرابرة، فوفقا لمكانتهم الأدنى، كان عليهم القناعة بمبعوثين أقل نفوذا وتأثيرا. ويبدو محتملا أنه بمرور الزمن، تحت الضغط المتزايد من البرابرة ليس فقط العسكري بل والدبلوماسي أيضا، فقدت الإمبراطورية وضعها في هذا المجال".([٤٦])

وعند مناقشة هذه الآراء يجب الوضع في الاعتبار أنها استندت إلي روايات بعينها، وأعنى هنا تحديدا رواية يونابيوس –سالفة الذكر– عن سفارة عام ٣٥٨م([٤٧]) ورواية بريسكوس

([٤٢]) Priscus, p.247.

([٤٣]) Priscus, p.283.

([٤٤]) انطلق ماثيسين من هذه الرواية للقول: "من هنا يمكن للمرء اقتراح أن المنزلة التشريفية كانت عاملا مهما في اختيار المبعوثين، وهو أمر ليس بمستغرب إذا وضعنا في الاعتبار أهمية المنزلة والرتبة خلال العصر الباكر بوجه عام". Mathisen, "Patrici", p.230.

([٤٥]) Blockley, *Foreign Policy*, p.153.

([٤٦]) Nechaeva, *Embassies*, p.119.

([٤٧]) Nechaeva, *Embassies*, p.119 n.12. وانظر تحليل الباحث السابق لرواية يونابيوس عن هذه السفارة.

هذه، دون الاستناد إلي حصر بمبعوثي السفارات التي تم إرسالها خلال العصر البيزنطي الباكر، إذ أن مثل هذا الحصر يتيح شواهد توحي بأن المنزلة التشريفية للمبعوث لم تكن ملحة بمثل هذه الدرجة سواء بالنسبة للبيزنطيين أم للفرس؛ فقد نجح أرينثايوس في سفارته إلي الفرس عام ٣٦٣م، أي قبل نحو عِقد من حصوله على لقب القنصلية (عام ٣٧٢م)، في عقد معاهدة صلح لمدة ثلاثين عاماً.(٤٨) وفي عام ٤١٩م نجحت سفارة هيليون Helion، رئيس الدواوين *magister officiorum*، الذي لم يحصل على لقبه التشريفي "بطريق" قبل أكتوبر ٤٢٥م، في مهمتها التفاوضية مع الفرس وتوقيع معاهدة عام ٤٢٠م.(٤٩) كذلك، ذهب أناتوليوس –كما مر بنا– بسفارتين إلي الفرس قبل حصوله على القنصلية أو البطريقية بنحو أكثر من عقدين، ونجح في السفارة الثانية في توقيع معاهدة صلح عام ٤٢٢م.(٥٠) وثمة شواهد لحالات أخرى مماثلة استمرت خلال النصف الثاني من القرن الخامس وطوال القرن السادس سترد الإشارة إليها في حينه.

كذلك؛ من الواضح أن رواية بريسكوس لا تتسق والشواهد سالفة الذكر الخاصة بقيام مبعوثين من القناصلة بسفارات إلي الهون قبل سفارة ماكسيمينوس عام ٤٢٥م؛ فهي وإن بررت غضب آتيلا من السفارة الأخيرة لكون قائدها من موظفي المرتبة الثانية *viri spectabilis*، إلا أنها لا تبرر سر طلب آتيلا، الذي نقله مبعوثه الهوني إلي البلاط البيزنطي، بإرسال مبعوثين يحظون بالمنزلة القنصلية، وهو الطلب الذي يوحي بتوقع آتيلا المسبق لإقدام السلطات البيزنطية على غير ذلك، رغم أن بريسكوس نفسه هو مصدر معلوماتنا الوحيد عن سفارات القنصلين بلينثاس وأناتوليوس إلي الهون، فضلا عن أن هذه السفارات تتناقض كلية مع الرسالة المزعومة التي أرسلها الإمبراطور عبر ماكسيمينوس بشأن عدم وجود سابقة لإرسال مبعوثين بيزنطيين من حاملي هذه المنزلة العليا إلي الهون.(٥١)

---

(٤٨) Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, p.393; trans. Hamilton, p.303; Zosimus, *New History*, p.66; *PLRE*, I, pp.102-103.

(٤٩) Socrates, *The Ecclesiastical History of Socrates or History of the Church from the accession of Constantine, A.D.305 to the 38th year of Theodosius II*, London, 1853, pp.354-355; *PLRE*, II, p.533.

(٥٠) Procopius, *History of Wars*, I, pp.11-12.

(٥١) يبدو أن رأي نيتشايفا تصادم بالتناقض الظاهر في روايات بريسكوس، فراحت تفسر الأمر بقولها: "لقد أُرسل المبعوثون أناتوليوس وسيناتور إلي الهون بالفعل قبل سفارة ماكسيمينوس بفترة قصيرة، ومن الوهلة الأولى كانت مشاركتهم في المفاوضات مع آتيلا تتناقض مع ما كان على ماكسيمينوس نقله إلي آتيلا، إلا أن حقيقة كون الهون شددوا مرارا على أنهم لن يتفاوضوا إلا مع أشخاص من المنزلة القنصلية، وهددوا بشن الحرب إن لم يُستجب

والواقع أن الرواية بأكملها تحتاج إلى قدر من الحذر في التعامل معها، ولا تدل مطلقا على ما تذهب إليه نيتشايفا بقولها: "في منتصف القرن الخامس حدثت بعض التغيرات المهمة في سياسة ودبلوماسية الإمبراطورية الخارجية، وأن جزءا مهما من هذه التغيرات يرجع إلى الهون وآتيلا. حيث أجبر هذا العامل الجديد والخطير الدبلوماسية البيزنطية على تغيير بعض القواعد وتوسيع منطقة ودائرة الدبلوماسية رفيعة المستوى، وصياغة بعض المعايير الجديدة لتوظيفها في العلاقات مع البرابرة".(٥٢) صحيح أن القصر الإمبراطوري استجاب لرغبة آتيلا وأرسل إليه اثنين من الأشخاص الذين أشار إليهم بأسمائهم، وهما القنصل أناتوليوس والبطريق نوموس Nomus رئيس الدواوين السابق (٤٤٣–٤٤٦م)، على رأس سفارة في عام ٤٥٠م(٥٣)، إلا أن ذلك لم يحل دون إرسال الإمبراطور مارقيان Marcian (٤٥٠–٤٥٧م) بعد عامين فقط (في عام٤٥٢م) سفارة أخرى إلي آتيلا نفسه برئاسة قائد *strategos* يُدعى أبوللونيوس، لم يحمل فيما يبدو أية منزلة تشريفية، لمناقشة الإتاوة المتفق عليها في معاهدة عام ٤٤٨م.(٥٤) وهي السفارة التي لم يشر بريسكوس في سياق حديثه عنها إلي أية ردة فعل غاضبة أو امتعاض من جانب آتيلا. ومن هنا يمكن القول بأن موقف آتيلا من سفارة ماكسيمينوس ربما كان موقفا استثنائيا أثارته مبررات أخرى غير المنزلة التشريفية، ربما لاعتياده إرسال البيزنطيين مبعوثين من القناصلة، أو لخبر تسرب إليه عن كون هذه السفارة، وتحديدا المترجم فيجيلاس، تحمل معها

لرغبتهم أمرا يظهر الجهود التي كان على الدبلوماسية الهونية بذلها لتحقيق مثل هذه التنازلات من القسطنطينية. ويظهر رد الفعل البيزنطي أنه قبل آتيلا لم يكن من المعتاد إرسال أشخاص يحملون هذه المراتب إلى برابرة سكيثيا". Nechaeva, *Embassies*, pp.119-120. ورغم وجاهة هذا التحليل، إلا أنه يفتقر إلي أساس صلب؛ فبريسكوس، المؤرخ الوحيد للأحداث، لم يشر من قريب أو بعيد إلى مسألة إلحاح الهون المتكرر بشأن إرسال مبعوثين من القناصلة في أي من إشاراته عن السفارات السابقة على سفارة عام ٤٤٩م.

(٥٢) Nechaeva, *Embassies*, p.120. لم تكن المسألة فيما يبدو تغييرا في قواعد الدبلوماسية البيزنطية، بقدر ما كانت اتجاها نحو إيثار الذراع الدبلوماسي بدلا من نظيره العسكري، وهو الأمر الذي أوضحه كوسماني Kuosmane في دراسته المتخصصة عن العلاقات بين الرومان والهون خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، إذ يقول: "هناك تحول واضح في معالجة الإمبراطورية للعلاقات الدولية.. وكان اتجاه المرحلة هو إيثار التحدث عن الدبلوماسية بدلا من الحرب". Kuosmane, P., *The Nature of Nomadic Power: Contacts between the Huns and the Romans during the Fourth and Fifth Centuries*, Ph.D. Thesis, University of Turku, 2013, p.51.

(٥٣) يروي بريسكوس أن آتيلا خرج هذه المرة بنفسه لاستقبال هذين المبعوثين "كنوع من التقدير والاحترام". Priscus, pp.297-299.

(٥٤) Priscus, p.315.

مهمة سرية لقتله([٥٥])، أو لأنه ببساطة لم يرغب–كما تشير نيتشايفا نفسها– في "التفاوض مع أشخاص جدد، ولهذا السبب طلب هؤلاء المبعوثين تحديدا".([٥٦])

ومما يدعم فرضية أن معيار الوظيفة كان أكثر أهمية ووضوحا من معيار المنزلة التشريفية في اختيار مبعوثي بيزنطة إلي القوى المجاورة منذ منتصف القرن الرابع، أن النصف الأول من القرن الخامس شهد إحياءً لدور شاغلي وظيفة رئيس الدواوين في الشئون الخارجية والدبلوماسية للإمبراطورية، وهي الوظيفة التي بدأت غامضة مع بداية القرن الرابع، وإن اتجه عدد من الباحثين المحدثين إلي الاعتقاد بأن ظهورها ارتبط بالإجراءات الإدارية التي استحدثها الإمبراطور قسطنطين للتقليص من سلطات الوالي البرايتوري، بحيث حل شاغلها محل هذا الوالى كرئيس لفرقة الحرس الإمبراطوري بعد إلغاء نظيرتها البرايتورية.([٥٧]) ورغم أن مصادر العصر البيزنطي الباكر تشير إليه دوما بهذه الصفة، فإن سلطاته واختصاصاته الإدارية تجاوزت قيادة هذه الفرقة بكثير.([٥٨])

([٥٥]) سيأتي تناول هذه المهمة لاحقاً في البحث الراهن.

([٥٦]) Nechaeva, *Embassies*, p.119.

([٥٧]) Bury, J.B., *History of the Later Roman Empire from the Death of Theodosius I to the Death of Justinian (A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1923, I, p.31.

([٥٨]) يتفق الباحثون المحدثون على أن هذه الوظيفة كانت في بدايتها من الوظائف الصغرى ثم تطورت تدريجيا، وبشكل غامض، ليصير شاغلها أحد أهم موظفي ومستشاري القصر، بحيث أشرف على عدد كبير من الإدارات غير المتصلة ببعضها البعض، بعضها كان تابعا قبلا للوالي البرايتوري، ومن ثم فقد كان بمثابة رئيسا للإدارة المدنية وموظفيها، خاصة دواوين السكرتارية الثلاث الرئيسية في البلاط الإمبراطوري، والمعروفة باسم *Sacra Scrinia*، وهي: الديوان المسئول عن أرشيف الوثائق والمراسيم الحكومية والمعروف باسم *memoriae* وديوان الرسائل والمكاتبات الداخلية والخارجية المعروف باسم *Epistularum*، والديوان المسئول عن النظر في الشكاوى والرد عليها، خاصة تلك المقترنة بمشكلات قانونية، والمعروف باسم *Libellorum*. ويرأس هذه الدواوين الثلاثة مديرون يُعرفون باسم *magistri scriniorum*، ويتبعون رئيس الدواوين مباشرة، وألقابهم على التوالي: *magister memoriae* و *magister epistularum* و *magister libellorum*. كذلك تضمنت اختصاصاته الإشراف على هيئة الشرطة السرية أو العملاء السريين *agents in rebus*، الذين يتم تكليفهم ببعض مهام التجسس على الولاة المحليين وتقديم تقارير دورية عنهم وتأمين طرق البريد الحكومي. كما حظى بإشراف على القادة العسكريين على الحدود. وفي أواخر القرن الرابع صار مديرا لورش تصنيع الأسلحة الحكومية. Bury, J.B. "Magistri Scriniorum, ἁντιγραφης, and ρεφερενδάριοι", *Harvard Studies in Classical Philology* 21(1910), pp.23-29; Boak, A.E.R., *The Master of the Offices in the Later Roman and Byzantine Empires*, New York, London, 1919, pp.60-105; Bury, *Later Roman Empire*, I, pp.29-31; Jones, *The Later Roman Empire*, I, pp.369f. وعن تطور سلطات هذا الموظف على حساب الوالي البرايتوري، خاصة فيما يتعلق بالإشراف على دواوين السكرتارية المختلفة، انظر: Lemcke, L., *Imperial Transportation and Communication from the Third to the Late Fourth*

ويرى أكثر الباحثين أن اختصاصات رئيس الدواوين في الشئون الخارجية بدأت في الظهور منذ النصف الثاني من القرن الرابع؛ ففي دراسته المتخصصة عن هذه الوظيفة يذهب أرثر بواك Arthur Boak إلى أن هذا الموظف "صار عمليا مع منتصف القرن الرابع وزيرا للشئون الخارجية، بحيث كانت وظيفته الوسيط المنتظم للاتصال بين الإمبراطور والحكام الأجانب. ويكمن أصل هذا التطور لوظيفته في أنه كان مضطلعا بإدارة اجتماعات البلاط عبر هيئة مرؤوسيه *admissionales*، بحيث كان السماح لأي شخص بالدخول إلى الحضرة الإمبراطورية، حتى وإن كان من رجال السناتو، مرهونا بإشرافه. ومن ثم كان من الطبيعي أن يصير رئيس الدواوين مسئولا عن استقبال المبعوثين الأجانب، ومن خلاله فقط أُتيح لهم الاتصال بالإمبراطور أو الحصول على إذن بمقابلته".(٥٩) وفي ذات الاتجاه يرى أ.د. لي A.D. Lee بأنه "خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانت الدبلوماسية بلا شك أحد مجالات اهتمام هذا الموظف، للمدى الذي جعله يُوصف بوزير الشئون الخارجية... وأصول الوظيفة في بداية القرن الرابع غامضة... وبالتأكيد هناك شح في الشواهد الخاصة بانخراطه في العلاقات الخارجية خلال القرن الرابع، فالحادثة الوحيدة من هذا القرن التي يمكن رؤية رئيس الدواوين فيها متصلاً بمثل هذه المهام هي قيام أورساقيوس Ursacius بتوزيع الهدايا على مبعوثي قبيلة الألماني Alamannic عام ٣٦٤م، الأمر الذي يقترح بأنه مع منتصف القرن الرابع صار له دور في استقبال المبعوثين الأجانب، وإن كان من الصعب أن نعتبر ذلك أساسا كافيا للاستنتاج بأن رئيس دواوين القرن الرابع انخرط بالفعل في العلاقات الخارجية كما صار على خلفائه ذلك في القرون اللاحقة... والشاهد الواضح على انخراط رئيس الدواوين الكبير في الدبلوماسية والشئون الخارجية متاحاً فقط من القرن الخامس فصاعداً".(٦٠)

إلا أنه على خلاف هذا التوجه تُوجد شواهد –لم يلتفت إليها هؤلاء الباحثون– توحي بأن اختصاص رئيس الدواوين بالشئون الخارجية والدبلوماسية بدأت مع ظهور الوظيفة في بداية

Century: The Golden Age of the Cursus publicus, M.A. thesis, University of Waterloo, Ontario, 2013, pp.78-83. والجدير بالذكر أن الباحث استخدم الترجمة العربية لمسمى الوظيفة "رئيس دواوين الحكومة" التي اقترحها أ.د. وسام فرج، نظرا لكونها تعبر عن التوصيف الأمثل لمهامه، وإن عمد إلى اختصارها لـ "رئيس الدواوين" كنوع من التخفيف. انظر: وسام فرج: "الألقاب والمناصب الحكومية"، ص٤٢.

(٥٩) Boak, *Master of the Offices*, p.35. والجدير بالذكر أن وصف رئيس الدواوين بـ "وزير الشئون الخارجية" وجد قبولا لدي عدد من الباحثين المحدثين، انظر: Bury, *Later Roman Empire*, I, p.30; Jones, *Later Roman Empire*, I, p.369.

(٦٠) Lee, A.D., *Information and Frontiers: Roman Foreign Relations in Late Antiquity*, Cambridge, 1993, pp.41-42.

القرن الرابع؛ فثمة إشارة مهمة أوردها يوحنا الليدي John Lydus في مؤلفه "عن ماجستيرات الشعب الروماني" *De Magistratibus Populi Romani* في سياق حديثه عن هذه الوظيفة، جاء فيها: "لا أستطيع تحديد أول من شغل وظيفة رئيس الدواوين نتيجة صمت التاريخ، الذي لا يشير إلي أحد من شاغلي هذه الوظيفة قبل مارتينيانوس Martinianus رئيس الدواين في زمن ليكينيوس(٦١) Licinius. وعندما استحوذ قسطنطين على كامل سلطة المنصب الإمبراطوري قام بتعيين بالاديوس Palladius رئيسا لدواوين القصر، وهو رجل حصيف استطاع عبر سفارات قام بها قبلاً أن يعقد معاهدة السلام بين الفرس والرومان".(٦٢)

وإذا كانت مثل هذه الإشارة تثير فرضية ظهور وظيفة رئيس الدواوين قبل عصر قسطنطين، فإنها تلمح أيضا –وهذا هو ما يهمنا– إلى أن حصافة بالاديوس وخبرته الدبلوماسية كانتا دافعا لقسطنطين إلي تقليده هذه الوظيفة، ومن ثم يمكن القول أيضا بأنها ارتبطت منذ نشأتها الأولى بانخراط شاغليها بالشئون الخارجية. وهنا يمكن الربط بين إشارة يوحنا الليدي ورواية بطرس البطريق Petrus Patricus، دبلوماسي عصر جستنيان الشهير الذي سيرد ذكره لاحقا، عن أولى السفارات التي يمكن رصدها خلال العصر الباكر، وهي السفارة التي أرسلها دقلديانوس (٢٨٤–٣٠٥م) Diocletian إلي الفرس عام ٢٩٧م للتفاوض وعقد معاهدة الصلح –والتي عُقدت بالفعل عام ٢٩٨م–، واضطلع بها سيكوريوس بروبوس Sicorius Probus مدير ديوان الأرشيف *magister memoriae*.(٦٣) وإذا وضعنا في الاعتبار حقيقة تبعية شاغل هذه الوظيفة اللاحقة لإدارة رئيس الدواوين، وما ذكره يوحنا الليدي بشأن مشاركة بالاديوس –قبل توليه الوظيفة– في سفارات للفرس استطاع خلالها أن يعقد معاهدة سلام معهم، لربما صارت هناك مشروعية للافتراض بأن المعاهدة المشار إليها في رواية الليدي هي ذاتها معاهدة عام ٢٩٨م –خاصة وأنها المعاهدة الوحيدة المعروفة قبل عصر قسطنطين–، وأن

---

(٦١) (٣١١–٣٢٤م).

(٦٢) John Lydus, *On Powers or the Magistarcies of the Roman State*, trans. A.C. Bandy, Philadelphia, 1983, p.121.

(٦٣) Peter the Patrician, Frg. 13-14, trans. B. Dignas & E. Winter, *Rome and Persia in Late Antiquity: Neighbours and Rivals*, Cambridge, 2007, pp.122-125.

بالاديوس كان مصاحبا لسيكوريوس بروبوس في سفارته عام ٢٩٧م([٦٤])، ربما بوصفهما موظفان في إدارة رئيس الدواوين وقتذاك.([٦٥])

ورغم غياب الإشارات المصدرية عن دور رئيس الدواوين في الشئون الدبلوماسية بعد عصر قسطنطين وحتى نهاية القرن الرابع، إلا أن ذلك قد لا يمثل دليلا قاطعا على عدم وجود هذا الدور بشكل كامل([٦٦]) خاصة مع توافر رواية أميانوس ماركيللينوس عن الدور الذي اضطلع به رئيس الدواوين أورساقيوس Ursacius في استقبال مبعوثي قبائل الألماني إلي بلاط القسطنطينية عام ٣٦٤م([٦٧])، وهي الرواية التي استند إليها أ.د.لي للحكم بأن "قدرة أورساقيوس على إثارة سخط وغضب المبعوثين توحي بأن المهارات الدبلوماسية لم تكن وقتذاك معيارا مهما في اختيار شاغلي هذه الوظيفة".([٦٨]) ورغم أن هذه السفارة قد تكون بحاجة إلي قراءتها في ظل

([٦٤]) ورد في *PLRE*, I, p.658 أن بالاديوس كان مبعوثا إلي فارس عام ٢٩٧م، وهي الإشارة التي أوحت للباحث بهذه الفكرة.

([٦٥]) من غير المستبعد أن بالاديوس كان موظفا في إدارة رئيس الدواوين قبل شغله هذه الوظيفة، وأن عمله السابق في هذه الإدارة، فضلا عن مشاركته في سفارات إلي الفرس، كانت مؤهلات جعلته جديرا بهذه الوظيفة المهمة. وثمة إشارة أخرى تسير في صالح هذا الرأي؛ فأنثيميوس Anthemius، المبعوث إلي الفرس في عام ٣٨٣م، عُين رئيسا للدواوين في عام ٤٠٤م. *PLRE*, II, p.94-95.

([٦٦]) ثمة شواهد مصدرية تلمح إلي هذا الدور، منها ما يذكره أميانوس ماركيللينوس عن رئيس الدواوين ريميجيوس Remigius الذي قدم تقريرا لإمبراطور الغرب فالنتينان الأول (٣٦٤-٣٧٥م) Valentinian I قبل وفود سفارة من إفريقية في عام ٣٧٠م، كما اعتاد استثمار معرفته بأخبار تحركات القبائل البربرية على حدود الإمبراطورية لتأمين وضعه غير المستقر في الوظيفة. Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, pp.497, 571. كذلك ثمة إشارة أخرى تتعلق باضطلاع القائد الوندالي الشهير ستيلخو Stilicho بسفارة إلي الفرس عام ٣٨٣م وقتما كان ضابطا بارزا في فرقة الحرس الإمبراطوري التابعة مباشرة إلي رئيس الدواوين، وبالتالي لا يُستبعد أن يكون للأخير دور في ذلك رغم أن المكانة التي حظي بها ستيلخو –الوندالي المترومن لكونه ابن سيدة رومانية– لدى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) Theodosius I ربما مثلت عاملا أساسيا في اضطلاعه بهذه السفارة، وهي المكانة التي وضحت في عام ٣٨٤م عندما زوجه الإمبراطور من سيرينا Serena ابنة شقيقته، وابنته بالتبني. John of Antioch, *Ioannis Antiocheni Fragmenta Quae Supersunt Omnia*, ed. & trans. S. Mariev, Berlin, 2008, p.385; Errington, R.M., *Roman Imperial Policy from Julian to Theodosius*, Chapel Hill, 2006, p.39.

([٦٧]) وفقا لرواية أميانوس ماركيللينوس كان أورساقيوس "حاداً وعنيف المزاج"، فعامل المبعوثين بفظاظة وقدم لهم هدايا عديمة القيمة، الأمر الذي أدى إلي انصرافهم من القصر وهم في حالة من الغضب العارم. Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, p.415.

([٦٨]) Lee, *Information and Frontiers*, p.41.

الظروف التي أحاطت بوفودها([69])، إلا أن أ.د. لي انطلق منها لتقييم مدى أهمية معياري الخبرة والتخصص في شغل هذه الوظيفة على مدار العصر البيزنطي الباكر بأكمله، وذلك من خلال البحث في المعلومات المتاحة عن السيرة الوظيفية السابقة لعدد من شاغليها([70])، ثم بالبحث في عدد سنوات شغلها، وهو البحث الذي لم يثمر عن نتائج محددة –باعتراف أ.د.لي نفسه– باستثناء أن كافة الشواهد "لا تسير على الأقل ضد فرضية تزايد أهمية التخصص".([71])

ورغم أهمية دراسة أ.د.لي، إلا أنه يمكن محاولة تقييم أهمية عنصري الخبرة والتخصص في شاغلي هذه الوظيفة في ضوء الشواهد المتاحة عن دورهم في السياسة الخارجية والدبلوماسية منذ بداية القرن الخامس، وذلك أثناء خدمتهم في الوظيفة لا قبلها. فرغم أن طبيعة سجل المناصب المدنية والعسكرية الذي يرجع إلي النصف الأول من هذا القرن والمعروف باسم *Notitia Dignitatum*([72]) لم تتح لنا شيئا عن هذا الدور، إلا أنه ذكر هيئة "مترجمي

([69]) يمكن تفسير مزاج أورساقيوس الحاد عند استقباله هؤلاء السفراء بالظروف المحيطة بوفودهم؛ فقبل مجيئهم – كما يذكر أميانوس نفسه– كانت " طبول الحرب تدق على سائر جبهات الإمبراطورية، وراحت القبائل البربرية تغير على أراضينا المجاورة لها؛ فاجتاح الألماني غالة ورائيتا Rhaetia...". Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, p.413

([70]) كانت النتيجة التي بلغها أ.د.لي من بحثه في الخلفية الوظيفية لعدد ممن شغلوا هذه الوظيفة أن: "قلة المادة المتاحة تجعل من محاولة الاستقصاء عن خلفيات رؤساء الدواوين الوظيفية أمراً ذو مردود هش بطريقة أو بأخرى". Lee, *Information and Frontiers*, p.43.

([71]) في النهاية بلغ أ.د.لي نتيجة مؤداها أن: "البحث في سير أولئك الذين شغلوا الوظيفة يخفق في تقديم شئ محدد ومؤكد". Lee, *Information and Fronteirs*, p.44.

([72]) يحمل هذ السجل عنوان " *Notitia dignitatum tam civilium quam militarium in partibus orientis et occidentis*"، أي "الرتب والوظائف المدنية والعسكرية البارزة في الشطرين الشرقي والغربي"، وذلك خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وتكمن أهميته في أنه الوحيد من نوعه الذي وصل إلينا، وهو عبارة عن قوائم لأسماء الوظائف والرتب في القسمين، الشرقي والغربي، ويتألف من تسعين فصلاً، يختص كل فصل منهم بموظف معين، سواء عسكري أم مدني، ورتبته ولقبه والوحدات التي يشرف عليها، بدءً من كبار الموظفين كالولاة البرايتوريين *praefecti praetorio* في الوظائف المدنية، والقادة العسكريين *magistri militum* في الوظائف العسكرية، وصولا إلي ولاة الأقاليم والمدن ووظائف القادة الميدانيين وغيرهم. وهناك دراسات عديدة نُشرت للتعريف بهذا السجل وتحليل مضمونه، منها على سبيل المثال: Bury, J.B., "The Notita Dignitatum", *Journal of Roman Studies* 10(1920), pp.131-154; Ward, J.H., "The Notitia Dignitatum", *Latomus* 33(1974), pp.397-434; Kulikowski, M., "The Notitia Digintatum as a Historical Sources", *Historia* 49(2000), pp.358-377; Palme, B., "Notitia Dignitatum", *NFN Imperium and Officium. Comparative Studies in Ancient Bureaucracy and Officialdom*, University of Vienna, 2011, pp.1-6; O'Hara, R., *An Assessment of the Notitia Dignitatum as a Historical Source for the Late Roman Bureaucracy*, Ph.D. thesis, National University of Ireland, Maynooth, 2013, p.3.

الشعوب الأخرى" *interpretes diversarum gentium* ضمن الهيئات الإدارية التابعة مباشرة لرئيس الدواوين.(٧٣) ويمكن فهم فحوى هذه الإشارة من خلال إشارات مصدرية أخرى، منها إشارة يوحنا الليدي عن إشراف هذا الموظف على "سفارات الأمم"(٧٤)، وما قدمه شاعر البلاط البيزنطي كوريبوس Corippus من وصف لكيفية تقديمه للمبعوثين الآفار إلي حضرة الإمبراطور جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) Justin II عام ٥٦٦م(٧٥)، وأخيرا ما سجله الإمبراطور قسطنطين السابع في كتابه "عن المراسم" *De Cerimoniis* من معلومات مهمة، استقاها من مصادر مبكرة كانت متاحة له(٧٦)، عن دور رئيس الدواوين البارز في استقبال السفارات الأجنبية الوافدة إلي بلاط القسطنطينية.(٧٧) وإذا كانت روث أوهارا Ruth O'Hara

---

(٧٣) *Notitia Dignitatum*, ed. Seeck, p.33.

(٧٤) يذكر يوحنا الليدي، الذي كتب في القرن السادس، ما نصه: "والأن تطورت سلطة الماجستيرية بدرجة هائلة؛ فلم يعد رئيس الدواوين مسئولاً فقط عن إدارة سفارات الأمم والبريد العام وعدد هائل من موظفيه المعروفين باسم *magistriani*، وصناعة الأسلحة والإشراف عليها، بل لقد ساد إدارة الشئون المدنية برمتها". John Lydus, *Magistarcies*, p.123

(٧٥) ورد هذا الوصف في بيتين بقصيدة ألقاها كوريبوس في مديح جستين الثاني بمناسبة اعتلائه العرش، وجاء فيها: "وبينما المبعوثون الآفار خارج أبواب القصر المقدس أعلن رئيس الدواوين مناشدتهم الدخول". *Legates Avarum jussos intrare magister. Ante fores sacras divinae nuntiat aulae.* أنظر: Corippus, ed. I. Bekker, *CSHB*, Bonn, 1836, p.193. ومن الجدير بالذكر أن لهذه القصيدة ترجمة إنجليزية لم تكن في متناول الباحث وقت كتابة هذا البحث. Flavius Cresconius Corippus, *In Laudem Iustini Augusti Minoris (in Praise of Justin II)*, trans. A. Cameron, London, 1976. ولا يُعرف عن كوريبوس سوى أنه إفريقي المولد، شغل وظيفة نوتاريوس *tribunus et notarius* في عهد الإمبراطور اناستاسيوس، ثم صار حاجبا في عهد الإمبراطور جستنيان. وربما يمثل اخر شعراء اللاتينية في العصر البيزنطي الباكر. *PLRE*, IIIa, pp.354f.

(٧٦) يرى بعض الباحثين أن هذه المعلومات مأخوذة من عمل مفقود عن المراسم وضعه بطرس البطريق، الدبلوماسي ورئيس الدواوين (٥٣٩-٥٦٥م) زمن جستنيان. Németh, A., *Imperial Systematization of the Past: Emperor Constantine VII and his Historical Excerpts*, Ph.D. thesis, Central European University, Budapest, 2010, pp.28 n.81, 43. وانظر مقدمة الترجمة الإنجليزية لهذا المصدر: Constantine Porphyrogennetos, *The Book of Ceremonies*, trans. A. Moffatt & M. Tall, Canberra, 2012, p.xxvi.

(٧٧) سجل كتاب "عن المراسم" معلومات تفصيلية عن المراسم المتبعة في استقبال المبعوثين الأجانب إلي بلاط القسطنطينية خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، خاصة مبعوثي الفرنجة والقوط والفرس، وأشار إلي عدد من الموظفين التابعين لرئيس الدواوين المسئولين عن استقبال هؤلاء المبعوثين منذ دخولهم أراضي الإمبراطورية، منهم: عملاء الشرطة السرية *agents in rebus* المسئولون عن استقبالهم على الحدود وتوفير سبل الراحة والتسلية لهم، وموظفو إدارة "سكرتارية البرابرة" *scrinium barbarorum* المسئولون عن توفير نفقات إقامة المبعوثين

ترى أن هذه المعلومات ربما لا تعكس الدور الفعلي لرئيس الدواوين وقتذاك في ظل فرضية كونها تصف حالة مثالية من المراسم ربما لم تشهدها هذه الفترة المبكرة من التاريخ البيزنطي(٧٨)، إلا أنه لدينا رواية مهمة من القرن الخامس بها قدر من التفصيل عن هذا الدور، وهي رواية بريسكوس المُشار إليها قبلا عن سفارة آتيلا إلي البلاط الإمبراطوري.

ووفقا لهذه الرواية، بعد أن سلم المبعوث الهوني إديكو رسالة آتيلا إلي الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، غادر قاعة المجلس الإمبراطوري بصحبة فيجيلاس المترجم لالتقاء بالخصي خريسافيوس Chrysaphius "حاجب الإمبراطور والأكثر سلطة ونفوذا بين وزرائه"(٧٩)، وفي هذه اللقاء –الذي قام فيجيلاس خلاله بترجمة الحوار فيما بينهما– نُسجت خيوط مؤامرة لقتل آتيلا، كان إديكو وفيجيلاس أدوات تنفيذها. وعندما نقل الخصي هذا الاتفاق إلي الإمبراطور –

المؤقتة عبر رحلتهم إلي القصر وتسجيل هذه النفقات، وموظفو إدارة *officium admissionum* المسئولون عن استقبالهم فور وصولهم إلي القصر وترتيب لقائهم برئيس الدواوين ومساعدته في تنظيم مراسم دخولهم المجلس الإمبراطوري *consistorium*. لمزيد من التفاصيل انظر: Constantine Porphyrogennetos, *Book of Ceremonies*, I, pp.393-409; Boak, *Master of Offices*, pp.93-96. وعن تحليل ما ورد في هذا الكتاب فيما يتعلق بالسفارة الفارسية زمن جستنيان، انظر: Dimitroukas, I., "The Trip of the Great Persian Embassies to Byzantium during the Reign of Justinian I (527-565) and its Logistics", *Byzantina Symmeikta* 18(2008), pp.171-184. وانظر أيضا: رأفت عبد الحميد، "قواعد الدبلوماسية البيزنطية"، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٠٣–١٤١، خاصة ١١٤.

(٧٨) O'Hara, *Notitia Dignitatum*, p.129.

(٧٩) كان الخصي خريسافيوس شخصية بارزة في بلاط ثيودوسيوس الثاني منذ أن صار سباثاريوس *spatharius* (حامل سيف) في فرقة الحرس الإمبراطوري ثم كبيرا لحجاب القصر منذ عام ٤٤٣م حتى عام ٤٥٠م. استطاع أن ينال حظوة لدى الإمبراطور وصار لصيقا له، إلى المدى الذي جعل البعض يظن أن ثمة علاقة محرمة بينهما. عمل على انغماس الإمبراطور في حياة الترف ليتحكم في سياسات القصر والنيل من خصومه. بلغ نفوذه حد عزل بطريرك القسطنطينية فلافيانوس Flavianus في ذات السنة التي تولى فيها الأخير البطريركية (٤٤٨م) بسبب رفضه دفع رشوة من الذهب؛ فاتهمه بالهرطقة وسعى إلي عقد مجمع كنسي في إفسوس عام ٤٤٩م، وهو المجمع الذي ترأسه صديقه أسقف الإسكندرية ديسقوروس Discorus. وبعد عزل فلافيانوس سعي الخصي إلى تعيين صديقه أناتوليوس Anatolius خلفا له. انتهت سيرته بمقتله في ذات سنة وفاة ثيودوسيوس الثاني (٤٥٠م). *PLRE*, II, pp.295-296. لمزيد من التفاصيل، انظر: Groeneveld, E., *A Game of Power: Courtly Influence on the Decision-Making of Emperor Theodosius II (408-450)*, MA. Thesis, Utrecht Univeristy, 2013, pp.48-54.

كما يقول بريسكوس: "اجتمع الأخير بمارتياليس Martialis رئيس الدواوين([٨٠])، وأخبره بما تم الاتفاق عليه مع المبعوث البربري، وكان ذلك أمرا ضروريا لكون شاغل هذه الوظيفة مؤتمناً ومسئولاً عن المبعوثين والمترجمين وفرقة الحرس الإمبراطوري. وبعد أن أبلغه الإمبراطور بكل خططه، ناقشا اقتراح إرسال مبعوثين إلي آتيلا، واتفقا على إرسال ماكسيمينوس وفيجيلاس، وأخبرا فيجيلاس المترجم بأن يأخذ أوامره من إيديكو وماكسيمينوس، رغم أن الأخير لم يكن يعرف عن المخطط شيئا".([٨١])

ورواية بهذه الصيغة لا تشير فقط بوضوح إلى أهمية رئيس الدواوين كمستشار للإمبراطور في الشئون الخارجية، بل تلمح أيضا إلى أهميته في اتخاذ القرار، والأهم من هذا وذاك أنها تنص صراحة على اختصاصه بإرسال المبعوثين واختيارهم. وربما تشي الإشارة إلى المبعوث ماكسيمينوس بشكل مجهل ودون تحديد رتبته أو وظيفته بأنه كان شخصا معروفا للإمبراطور ورئيس الدواوين، أو بمعنى أخر ربما كان موظفا تابعا للأخير ومختصا بالعلاقات مع الهون تحديدا. ومما يدعم هذه الفرضية أن هناك إشارة مهمة ليوحنا الأنطاكي –مؤرخ القرن السابع– عن سفارة أرسلها الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١–٥١٨م) Anastasius I إلي الهون عام ٥١٣م–٥١٤م، واضطلع بها أورانويوس Uranius سكرتير *concellarius* رئيس الدواوين كيليريوس Celerius، وبرفقته "بوليخرونيوس([٨٢]) Polychronius ومارتيريوس([٨٣]) Martyrius، الموظفان المسئولان عن السفارات مع الهون".([٨٤]) ورواية بهذه الصيغة توحي

([٨٠]) هو اريوبينداس مارتياليس Areobindas Martialis. شغل هذه الوظيفة في عام ٤٤٩م. ثم صار قائدا للمشاة *magister peditum* خلال عامي ٤٥٠–٤٥١م. يعتقد مارتيندالي Martindale أن اسمه قد يشي بأصل جرماني. *PLRE*, II, p.729; Groeneveld, *Game of Power*, p.37.

([٨١]) Priscus, pp.245-247.

([٨٢]) *PLRE*, IIIb, p.896.

([٨٣]) *PLRE*, II, p.732.

([٨٤]) John of Antioch, *Fragmenta*, p.459. ذهبت هذه السفارة إلي الهون للتفاوض على إطلاق سراح هيباتيوس القائد البيزنطي الذي أُسر أثناء حربه مع القائد الثائر فيتاليان Vitalian والمتحالف مع الهون، وحملت معها أكثر من ألف قطعة ذهبية لتقديمها كفدية، إلا أن فيتاليان استطاع الإيقاع بهم عند مدينة سوزوبوليس Sozopolis. وقد أورد ماركللينوس Marcellinus خبر هذه السفارة مشيرا إلى أورانيوس دون تحديد هويته أو هوية مرافقيه. *The Chronicle of Marcellinus*, trans. B. Croke, Sydney, 1995, p.38.وعن ظروف إرسال هذه السفارة، انظر: Nicks, F.K., *The Reign of Anastasius I (491-518)*, Ph. D. thesis, St. Hilda's College, Oxford, 1998, p.60f. يوحنا الأنطاكي راهب ومؤرخ حولي عاش في عصر الإمبراطور هرقل (٦١٠–٦٤١م). يعتقد البعض أنه هو نفسه يوحنا بطريك أنطاكية (٦٣٠–٦٤٨م). وتتناول حوليته التاريخ

بأن ثمة تخصص وظيفي في السفارات الدبلوماسية يمكن ملاحظته خلال النصف الأول من القرن الخامس، وتحديدا في عهد ثيودوسوس الثاني.(٨٥)

وقد يتأكد هذا الاتجاه باستعراض السفارات التي خرجت من بلاط القسطنطينية خلال هذه الفترة؛ فمن بين إحدى عشرة سفارة أمكن حصرها، هناك ست سفارت قام بها رئيس الدواوين بنفسه أو كلف بها أحد موظفيه. حيث اضطلع هيليون Helion، الذي شغل الوظيفة خلال الفترة من نوفمبر ٤١٤م إلى أغسطس ٤٢٧م(٨٦)، بأربع سفارات منها: كانت الأولى إلي الفرس عام ٤١٩م، رافقه فيها ماكسيمين Maximin مساعد أردابوريس Ardaburis القائد الشرق.(٨٧) والثانية إلي الفرس في عام ٤٢٢م، ورافقه فيها أناتوليوس قائد لشرق.(٨٨) أما السفارتان الأخيرتان فقام بهما منفردا إلي سالونيك وروما في عامي ٤٢٤م و٤٢٥م على التوالي لتنصيب فالنتينيان الصغير قيصرا ثم إمبراطورا للغرب.(٨٩) كذلك هناك سفارة أخرى خرج فيها مدير ديوان الأرشيف إبيجينيس Epigenes كمرافق لبلينثاس القائد المقيم بالعاصمة في سفارته

منذ آدم (عليه السلام) حتى موت الإمبراطور فوقاس (٦٠٢-٦١٠م) Phocas. لمزيد من التفاصيل عنه انظر: Van Nuffelen, P., "John of Antioch, Inflated and Deflated. Or: How (Not) to Collect Fragmens of Early Byzantine Historians", *Byzantion* 82(2012), pp.427-450.

(٨٥) يتجه بعض الباحثين إلي أن بوليخرونيوس ومارتيريوس كانا موظفين تابعين لرئيس الدواوين، إذ يرىماينشين هيلفين Maenchen-Helfen أن رواية يوحنا الأنطاكي تشير إلي أنه "كان من بين مترجمي الشعوب الأخرى *interpretes diversarum gentium* العاملين تحت سلطة رئيس الدواوين من اختص بالتعامل مع مبعوثي الهون". Maenchen-Helfen, J.O., *The World of the Huns: Studies in Their History and Culture*, ed. M. Knight, Berkeley, Los Angeles, London, 1973, p.379. كذلك يرى ستين Stein أنهما بدون شك موظفان تابعان لرئيس الدواوين. Stein, E., *Histoire du Bas-Empire*, Paris, 1949, II, p.181. وقد دفع هذان الرأيان نيتشايفا إلى القول بأن عبارة يوحنا الأنطاكي تفتح الباب أمام عدة تفسيرات، إذ تقول: "ليس من الواضح على الإطلاق ما إذا كان هذان الشخصان مضطلعين بالتعامل مع سفارات الهون الوافدة، أم بالعلاقات الدبلوماسية مع الهون بعامة، ومن ثم أمكنهم السفر إلي الهون كمبعوثين. وبأية حال يبدو واضحا أنهما كانا بالتأكيد متخصصين بشكل أو بأخر". Nechaeva, *Embassies*, p.128.

(٨٦) *PLRE*, II, p.533.

(٨٧) Sozomen, *The Ecclesiastical History of Sozomen or History of the Church from A.D. 324 to A.D.440*, trans. E. Walford, London, 1855, pp.354-355. وكان ذلك للتفاوض على شروط الصلح، الذي عُقد بالفعل عام ٤٢٠م.

(٨٨) Theophanes, *Chronicle*, p.136. كانت هذه السفارة للتفاوض حول شروط الصلح.

(٨٩) Olympiodorus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.152-220, esp.207.

إلي الهون عام ٤٣٨م.(٩٠) وأخيرا شارك نوموس رئيس الدواوين السابق، ربما كمرافق للقائد أناتوليوس سالف الذكر، في السفارة إلي الهون في عام ٤٥٠م.(٩١)

وتكمن أهمية هذا العرض فيما يمكن الخروج به من دلالات، لعل أهمها ما قد يُلاحظ من حضور واضح لوظيفة رئيس الدواوين في السفارات الخارجية، وتزايد لأهمية عنصري الخبرة والتخصص، اللذان استدعيا خروج هيليون بأربع سفارات متتالية، فضلا عن تكليف نوموس رئيس الدواوين السابق بمهمة دبلوماسية؛ فطلب أتيلا للأخير بالإسم ربما يلمح إلى مشاركته بصفته الوظيفية في سفارة سابقة إلى الهون. إلا أن ثمة دلالة أخرى أكثر أهمية، وهي أن بروز دور رئيس الدواوين ومساعديه لم يؤثر على مشاركة القادة العسكريين في السفارات، وأن دور كل من الطرفين كان مكملا للأخر، لا متضاربا معه، وذلك بصرف النظر عن ماهية المبعوث الرئيسي؛ ففي هذا الصدد يبدو أنه كان هناك تبادل في الأدوار. ورغم أن المصادر لم تفصح في بعض الحالات إلا عن هوية المبعوث الرئيسي، سواء كان رئيس الدواوين أم أحد القادة العسكريين، فإن مشاركة الطرف الأخر تظل فرضية محتملة. وهنا يمكن ربط ذلك برواية ليونابيوس جاء فيها: "لقد اعتاد الأباطرة منذ عصر مبكر أن يختاروا للسفارات رجالاً كانوا قد أحرزوا تميزا في الجيش، أو من القادة العسكريين، ورجالاً يلون ذلك في المرتبة ممن كانوا قد أُختيروا قبلا لوظائف مدنية".(٩٢) ولا شك في أن اختيار قادة عسكريين وموظفين مدنيين للاضطلاع بسفارات إلي العالم الخارجي لم يكن أمراً عشوائيا، بل لاعتبارات سيأتي ذكرها فيما بعد.

وإذا كان عصر ثيودوسيوس الثاني قد شهد تناميا ملحوظا في دور رئيس الدواوين في الشئون الخارجية والدبلوماسية، خاصة مع نوموس وهيليون ومارتياليس، فإن ثمة تراجع لهذا الدور بدأ بعد وفاته عام ٤٥٠م وربما استمر حتى ظهور رؤساء الدواوين الأكثر شهرة وبروزا في

---

(٩٠) Priscus, pp.225-266. يشير بريسكوس إلى إبيجينيس بوصفه كوايستور *Quaestor sacri palatii*، إلا أنه لم يشغل هذه الوظيفة قبل ١٥ فبراير ٤٣٨م، وهو تاريخ صدور مرسوم ظل يشير إليه كمدير لديوان الأرشيف. *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitution*, trans. C. Pharr, Princeton, 1952, nov.I.7, p.488. وقد انطلق ماثيسين من كون إبيجينيس كوايستور، وأن شاغلي هذه الوظيفة كمسئولين عن التشريع الإمبراطوري حظوا بتدريب على الخطابة، للقول بأن اختياره كمبعوث جاء بناء على قدراته البلاغية. Mathisen, "Patrici", p.228.

(٩١) Priscus, pp.297, 299, 301.

(٩٢) Eunapius, *Lives of Sophists*, p.395.

القرن السادس، وأعنى هنا كيليريوس وهيرموجينيس Hermogenes وبطرس البطريق.([٩٣])
حيث لم يشهد النصف الثاني من القرن الخامس إلا حالة واحدة فقط لخروج رئيس الدواوين بسفارة، وهي سفارة يوسيبيوس Eusebius –شغل الوظيفة منذ عام ٤٧٤م– التي أرسلها زينون (٤٧٤–٤٩١م) Zeno خلال السنوات (٤٧٦–٤٨٤م) للتفاوض مع الفرس.([٩٤]) وباستثناء ذلك لم يخرج من موظفيه في اثنتى عشرة سفارة أخرى أمكن حصرها خلال هذه الفترة إلا في أربع منها فقط خلال السنوات (٤٧٩–٤٨٤م).([٩٥]) ورغم أن ذلك قد يُفسر بأن سفارة يوسيبيوس كانت الوحيدة التي وُجهت إلي الفرس وقتذاك، ومن ثم كان من المنطقي أن يضطلع بها موظف كبير بحجم رئيس الدواوين، وأن بقية السفارات أُرسلت في معظمها إلي قوى أدنى([٩٦])، إلا أن

([٩٣]) *PLRE*, II, pp.275-277; IIIa, pp.590-593; IIIb, pp.994-997.

([٩٤]) Procopius, *History of Wars*, I, pp.15-17; *PLRE*, II, p.431. ربما للتفاوض حول استعادة البيزنطيين لمدينة نصيبين Nisbis تحقيقا لبنود معاهدة الطرفين في عام ٣٦٣م. وترجع طول فترة السفارة إلى إصرار الملك الفارسي على مصاحبة يوسيبيوس له في حربه ضد الهون البيض *Hephthatiles* ، العدو المشترك للطرفين وقتذاك.

([٩٥]) في عام ٤٧٩م أرسل زينون والي القسطنطينية أدامانتيوس Adamantius بسفارة إلي زعيم القوط الشرقيين ثيودريك بن ثيودومير Theodoric Theodomir لعقد اتفاق تحالف ضد خصمهما ثيودريك سترابو Theodoric Strabo، وبرفقته أحد موظفي رئيس الدواوين المعروفين باسم *magistriani*. Malchus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.402-462, esp.439, 443. أما السفارة الثانية فكانت في نهاية عام ٤٧٩م عندما أرسل زينون أحد موظفي الـ *magistriani* إلى ثيودوريك سترابو لمنعه من مواصلة زحفه تجاه القسطنطينية بعد اندلاع تمرد القائد مارقيان Marcian. Malchus, p.451. وخرج بالسفارتين الأخيرتين أحد عملاء الشرطة السرية *agents in rebus* يُدعى أورانيوس Uranius في عامي ٤٨٢م و٤٨٤م على التوالي، حمل في الأولى رسالة إلي حبر روما سيمبليكيوس (٤٦٨–٤٨٣م) Simplicius بشأن عزل يوحنا John وتعيين بطرس Petrus أسقفا في الإسكندرية. Zachariah of Mitylene, *The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene*, trans. F.J. Hamilton & E.W. Brooks, London, 1899, p.125. وفي الثانية أرسله زينون إلى هنريك Huneric ملك الوندال في قرطاج للاحتجاج على اضطهاده لأتباع الأرثوذكسية. Victor of Vita, *History of the Vandal Persecution*, trans. J. Moorhead, Liverpool, 2006, p.77; *PLRE*, II, p.1186-1187.

([٩٦]) هذه السفارات هي: سفارة القائد أبوللونيوس Apollonius التي أرسلها الإمبراطور مارقيان إلي آتيلا في عام ٤٥٢م للتفاوض حول الإتاوة المتفق عليها في معاهدة سابقة. Priscus, p.315. وسفارة بيلدا Belda الأسقف الأريوسي التي أرسلها مارقيان إلى جيزريك Gaiseric ملك الوندال في عام ٤٥٦م لطلب عدم التدخل في شئون إيطاليا وإطلاق سراح زوجة وبنات الإمبراطور الراحل فالنتينيان الثالث (٤٢٥–٤٥٥م) Valentinian III. Priscus, p.333. وسفارة شخص يُدعى فيلاركوس Phylarcus التي أرسلها الإمبراطور ليو الأول إلي جيزريك في عام ٤٦٧م لإعلانه باعتلاء أنتثيميوس Anthemius عرش روما وتهديده بشن حرب ضده إن لم ترحل قواته

هذا التفسير يتصادم مع وجود سفارة إلي آتيلا في عام ٤٥٢م، واضطلاع أشخاص من المرتبة العليا *viri illustris* باثنتين من هذه السفارات.(٩٧) وثمة فرضية أخرى يمكن اقتراحها في ضوء ما سجله يوحنا الليدى في القرن السادس من حدوث تقلبات في هذه الوظيفة منذ أواخر القرن الرابع، ربما نتيجة تذبذب سياسات القصر ووجود خصوم لسلطة رئيس الدواوين من كبار رجال القصر أصحاب الحظوة والنفوذ لدي الأباطرة، فوفقا ليوحنا الليدي، تم تجريد هذه الوظيفة من سلطتها في عهد الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م) Arcadius بتأثير من روفينوس Rufinus، والي القسطنطينية وصاحب النفوذ الأكبر في توجيه سياسات القصر وقتذاك(٩٨)، ثم جاء ثيودوسيوس الثاني ليرد إليها سلطة الإشراف على "شئون القصر *palatium*".(٩٩) وعندما اعتلى ليو الأول (٤٥٧-٤٧٤م) Leo I العرش –كما يذكر الليدي– عمد إلي التقليص من سلطاتها وإداراتها ثانية(١٠٠)، ثم جاء أناستاسيوس "ونتيجة اضطراب الشئون العامة، أعاد للماجيستيرية قدرها بأن عهد بها إلي أفضل الخطباء ورجال البلاغة المدربين".(١٠١)

عن إيطاليا وصقلية. Priscus, p.361. وسفارة تيلوجيوس Telogius، أحد موظفي القصر المسئولين عن حفظ الهدوء والنظام في الحضرة الإمبراطورية (*Silentiarius*)، التي أرسلها ليو الأول إلي ثيودريك سترابو في عام ٤٧٣م للتفاوض وعقد الصلح. Malchus, p.407. وسفارة شخصين يُدعيان جوليانوس Julianus وفيلوكسيموس Philoxemus إلي ثيودوريك بن ثيودومير في عام ٤٧٩م للتحالف ضد ثيودوريك سترابو Malchus, p.433. وسفارة أرتيميدوروس Artemidorus، سكرتير زينون وقتما كان قائدا بالجيش، وشخص يُدعى فوقاس Phocas، التي أرسلها زينون إلى ثيودوريك بن ثيودومير لتحذيره من مغبة إلحاق الأذى بأراضي الإمبراطورية بعد توقيع زينون اتفاق مع ثيودوريك سترابو. Malchus, p.437. وسفارة بيلاجيوس السلينتياريوس Pelagius التي أرسلها زينون إلى ثيودوريك سترابو في نهاية عام ٤٧٩م لإقناع الأخير بتراجع قواته عن زحفها تجاه القسطنطينية. Malchus, p.451.

(٩٧) سفارة عضو السناتو البطريق سيفيروس Severus Patricius التي أرسلها زينون إلي جيزريك ملك الوندال في عام ٤٧٦م للتفاوض على الصلح وتحرير الأسرى. Malchus, p.411. وسفارة أدامانتيوس والي القسطنطينية سالفة الذكر. Malchus, pp.43, 443.

(٩٨) يقول الليدي: "جُردت الوظيفة من أسلحتها وسلطتها على ورش الأسلحة وإدارة البريد العام، ومن كل سلطة أخرى تكونت من خلالها وظيفة الماجستيرية *Magisterium*" . John Lydus, *Magistarcies*, p.195.

(٩٩) John Lydus, *Magistarcies*, p.197.

(١٠٠) يذكر الليدي ما نصه: "عندما جاء ليو، الذي اعتلى العرش بعد ثيودوسيوس ومارقيان، وجد ثروتنا على وشك أن تذهب لآتيلا، عدو العالم المتحضر، وكانت تفوق مئات الآلاف من القطع الذهبية. وقرر شن الحرب على الوندال، الجنس الجرماني الذي وفد من الشمال إلى أسبانيا. ولأنه خاض حروبا كثيرة، فقد قلص من الماجيستيرية....، وتم إنفاق مئات الآلاف من القطع الذهبية". John Lydus, *Magistarcies*, p.201.

(١٠١) John Lydus, *Magistarcies*, p.211.

وإذا كانت مثل هذه الإشارة المهمة تفسر –على الأقل بشكل جزئي– ما لُوحظ قبلا من عدم توافر معلومات تتعلق بدور رئيس الدواوين في الشئون الخارجية والدبلوماسية أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس([١٠٢])، فإنها على الأرجح تكشف عن سر تنامي هذا الدور في عهد ثيودوسيوس الثاني ثم تراجعه ثانية في عهدي مارقيان وليو الأول، اللذان لم يشهدا أية سفارات شارك فيها رئيس الدواوين بنفسه أو من خلال معاونيه. ولعل في تجاهل يوحنا الليدي الإشارة إلي موقف الإمبراطور زينون من الوظيفة – وهو الذي اعتلى العرش بعد ليو الأول– مؤشرا على تحسن وضعها النسبي، خاصة وأن كافة سفارات النصف الثاني من القرن الخامس التي شارك فيها رئيس الدواوين بنفسه –وأعني هنا سفارة يوسيبيوس سالفة الذكر– أو معاونوه تنتمي إلي عهد زينون.([١٠٣])

كذلك؛ تفسر رواية يوحنا الليدي العودة القوية لدور هذه الوظيفة في الشئون الخارجية والدبلوماسية منذ عهد أناستاسيوس فصاعدا؛ فرئيس دواوينه كيليريوس (٥٠٣–٥١٥م)، الذي

([١٠٢]) رغم عدم استبعاد حدوث تقلبات مماثلة في وظيفة رئيس الدواوين خلال القرن الرابع، إلا أن مشروعية تفسير الغياب النسبي لدور رئيس الدواوين في الشئون الخارجية والدبلوماسية في ضوء رواية يوحنا الليدى قد تقتصر على عهد أركاديوس فقط. ولعل هناك أسباب إضافية أخرى تفسر هذا الغياب، منها ما يقترحه أ.د. لي بقوله: "من المغري أن نرى ذلك مرتبطا بدرجة ما بالتحول من نمط الأباطرة المتنقلين إلى الأباطرة المقيمين في القسطنطينية؛ فالأباطرة المتحركين بوجودهم شخصياً في مناطق الحدود انخرطوا بشكل مباشر في المفاوضات مع الشعوب الأجنبية، ومع اضمحلال هذا الدور والمكوث الدائم في العاصمة خلق أباطرة القرنين الخامس والسادس مجالاً أكبر للموظفين للقيام بدور الوسيط الدبلوماسي". ومع ذلك يبدو أن عدم تنبه أ.د. لي لرواية يوحنا الليدي أو اعتماده على إحصاء بشخوص السفارات ووظائفهم أدى به إلي إطلاق أحكام عامة عن دور رئيس الدواوين في الشئون الدبلوماسية، دون الوضع في الاعتبار التقلبات التي شهدتها وظيفته؛ فكما اتجه إلي أن هناك تطورا إيجابيا مهما لهذه الوظيفة وهذا الدور في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس –وهي فترة حكم أركاديوس في النصف الشرقي– لم يلحظ التذبذب الواضح في هذا الدور عبر القرن الخامس. Lee, *Information and Frontiers*, p.42; Idem, "Treaty-Making in Late Antiquity" in: *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France, Cambridge, 2008, pp.107-119, esp.110, 112.

([١٠٣]) كذلك لدينا إشارة مهمة عن البطريق إيلوس Illus رئيس الدواوين في عهد زينون، إذ يشير مالالاس إلي أنه بلغ "نفوذاً طاغيا"، كما يسجل مصاحبته للإمبراطور لـ "استقبال مبعوثين برابرة". Malalas, *Chronicle*, p.215. وعن نفوذه في سياسات القصر انظر: Hugh, E., "Illus and the Imperial Aristocracy under Zeno", *Byzantion* 70(2000), pp.393-407. وعن دور شاغلي هذه الوظيفة ونفوذهم الكبير، أمثال باتريكيوس Ptrikios معشوق فيرينا Verina أرملة الإمبراطور الراحل ليو الأول؛ وثيوكتيستوس Theoktistos الذي سعى إلي تنصيب شقيقه على عرش البطريركية، فضلا عن دور إيلوس نفسه وثورته ضد الإمبراطور، انظر أحدث الدراسات عن عصر زينون: Kosinski, R., *The Emperor Zeno: Religion and Politics*, Cracow, 2010, pp.81f, 100-101, 147-165.

وصفه الليدي بكونه "أكثر رجال الدولة حظوة لدى الإمبراطور"([١٠٤])، لعب دوراً أساسياً –وربما الوحيد– في المفاوضات مع الفرس في عام ٥٠٦م ونجح في عقد هدنة لمدة سبع سنوات.([١٠٥]) ويبلغ دور هذه الوظيفة ذروته في عهد الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧–٥٦٥م) Justinian I، فمن بين نحو سبع وثلاثين سفارة خارجية أمكن رصدها خلال هذه الفترة، شارك رئيس الدواوين بنفسه في نحو عشر سفارات منها، بينما ذهب معاونوه في اثنتين.([١٠٦]) كذلك شهدت ذات الفترة أبرز رئيسي دواوين ظهورا في العلاقات الدبلوماسية خلال العصر الباكر، وهما هيرموجينيس الذي اضطلع خلال فترة توليه الوظيفة (٥٢٩م– ٥٣٣م) بست سفارات متتالية إلي الفرس([١٠٧])، وبطرس البطريق (٥٣٩–٥٦٥م) الذي قام بأربع سفارات، اثنتان منها إلي

([١٠٤]) John Lydus, *Magistarcies*, p.161.

([١٠٥]) John Lydus, *Magistarcies*, p.213; Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, p.163; Procopius, *History of Wars*, I, p.77; Marcellinus, *Chronicle*, p.34. تسجل حولية يوشع العمودي Joshua the Stylite تفاصيل دور كيليريوس التفاوضي مع الفرس منذ حصار الأخيرين لآمد عام ٥٠٣م؛ فبالإضافة إلي كونه أحد القادة الأساسيين الذين أرسلهم أناستاسيوس إلى هذه الجبهة، استقبل في الرها ثلاثة مبعوثين أرسلهم الملك الفارسي للتفاوض معه على الصلح خلال الفترة (٥٠٤–٥٠٦م). لمزيد من التفاصيل، انظر: *The Chronicle of Joshua the Stylite. Composed in Syriac A.D. 507*, trans. W. Wright, Cambridge 1882, pp.54-55, 58, 64-66, 72-74.

([١٠٦]) كانت السفارة الأولى في عام ٥٣١م، وخرج فيها الماجستيريانوس *magisterianus* جوليانوس Julianus إلي الأحباش Auxoumitai والحارث Arethas ملك الحميريين Homeriatae لتدعيم الصداقة والتحالف ضد الفرس. Malalas, *Chronicle*, p.268; Procopius, *History of Wars*, I, p.193; Theophanes, *Chronicle*, pp.361, 363 n.7. وقد أورد يوحنا الإفسوسي خبر هذه السفارة لكنه أشار إلى جوليانوس بوصفه قس. ونظرا لكونه كاتب شرقي فمن المنطقي الافتراض بأن الوظيفة الواردة في المصادر البيزنطية هي الأكثر صحة. John of Ephesus, *The Third Part of the Ecclesiastical History*, trans. R.P. Smith, Oxford, 1860, p.251. أما السفارة الثانية فخرج فيها ماجستيريانوس مجهول الاسم في حوالي عام ٥٣٢م لنقل أمر جستنيان إلي الملك آثالاريك Athalaric بعدم استقبال القائد المتمرد جيليمر Gelimer أو الاعتراف به ملكا على إفريقية. Malalas, *Chronicle*, p.269.

([١٠٧]) كانت السفارة الأولى في مايو ٥٢٩م لإعلان الفرس باعتلاء جستنيان العرش والتباحث حول السلام. Malalas, *Chronicle*, pp.260, 262; Theophanes, *Chronicle*, pp.270-271, 273 n.14. وحمل في الثانية رسالة إلي ملك الفرس بشأن الصلح في مارس ٥٣٠م. Malalas, *Chronicle*, p.265; Theophanes, *Chronicle*, p.274. ثم خرج بثلاث سفارات متتالية في عام ٥٣١م للتفاوض على الصلح. Procopius, *History of Wars*, I, pp.165, 197, 203. وكانت الأخيرة في سبتمبر ٥٣٢م لعقد معاهدة سلام معهم. Marcellinus, *Chronicle*, p.44; Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp. 231-23; *PLRE*, IIIa, pp.590-593.

إيطاليا قبل شغله الوظيفة في عامي ٥٣٤م و٥٣٦ (١٠٨)، والأخريتان إلي الفرس في عامي ٥٥٠م و٥٦١م.(١٠٩) ولعل هذه السفارات في حد ذاتها تمثل مؤشرا مهما على تطور التخصص الدبلوماسي(١١٠)، فضلا عن تنامي أهمية عنصر الخبرة السابقة في شغل هذه الوظيفة وقتذاك. كذلك لعل طول فترة شغل بطرس البطريق للوظيفة (نحو ستة وعشرين عاماً) مؤشرا إضافيا على نوع من الاستقرار فيها.

كذلك من الملاحظ أن وظيفة رئيس الدواوين خلال القرن السادس شهدت تطورا يمكن رصده من الإشارات المصدرية، إذ صار شاغلها موجودا بنفسه على الجبهة الفارسية كدبلوماسي وقائد عسكري في آن واحد؛ فكيليريوس عُهد إليه بقيادة جيش كبير إلي الحدود الشرقية لدعم القوات المرابطة هناك في عام ٥٠٣م، وخلال السنوات التي أمضاها هناك –كما ذُكر قبلا– كان المفاوض الرئيسي مع الفرس.(١١١) كذلك شارك هيرموجينيس في العمليات العسكرية على

---

(١٠٨) أُرسل بطرس في السفارة الأولى أواخر عام ٥٣٤م لمقابلة كل من ثيوداهاد، الطامح إلي عرش مملكة القوط الشرقيين، وآمالاسونثا ابنة الملك المتوفي ثيودريك وأم الملك الصغير أثالاريك والوصية عليه. وكُلف بالتفاوض مع كل منهما سراً. Procopius, *History of Wars*, III, pp.33, 39-41; Cassiodorus, *The Variae of Mangus Aurelius Cassiodorus Senator*, trans. S.J.B. Barnish, Liverpool, 1992, p.139. أما المرة الثانية فكانت في أوائل عام ٥٣٦م للإشراف على اجراءات الاتفاق البيزنطي مع ثيوداهاد، بعد موت آثالاريك ومقتل آمالاسونثا، بتسليم إيطاليا ووضعها تحت الحماية البيزنطية. Procopius, *History of Wars*, III, pp.55-57; IV, p.63.

(١٠٩) ذهب بطرس بسفارته الأولى إلي الفرس في عام ٥٥٠م للتفاوض على تفاصيل إتفاقية صلح شاملة. Procopius, *History of Wars*, V, p.149. اما السفارة الثانية فكانت في عام ٥٦١م لعقد معاهدة صلح مدتها خمسين عاماً. Menander, *The History of Menander the Guardsman*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1985, p.55. وعند ثيوفانيس ذهب لعقد صلح مدته سبعة عشر عاما. Theophanes, *Chronicle*, pp.351, 352 n.22.

(١١٠) من المهم الوضع في الاعتبار أن إيطاليا والحدود الشرقية كانتا تمثلان الجبهتين الأكثر أهمية على الإطلاق في سياسة جستنيان الخارجية. وثمة ملاحظة سجلها أ.د.لي، وهي أن رئيس الدواوين منذ هيليون لعب دورا أساسيا في صنع المعاهدات مع فارس، بينما لا تشير الشواهد المصدرية إلى نظير لهذا الدور مع الشعوب الأخرى، وعلق على رأي بريان كروك القائل بأن ثمة اتفاقية عُقدت مع آتيلا تم التفاوض عليها من قبل رئيس الدواوين نوموس، بأنه إن صح فآتيلا كان حالة خاصة بين الزعماء المؤثرين على الحدود الشمالية للإمبراطورية. Lee, "Treaty-Making", pp.112-113; Croke, B., "Anatolius and Nomus: Envoys to Attila", *Byzantino Slavica* 42(1981), pp.159-170. غير أن هذا الرأي يغفل اضطلاع هيليون بمهمتين دبلوماسيتين تتعلقان بالشطر الغربي في عامي ٤٢٤م و٤٢٥م.

(١١١) Procopius, *History of Wars*, I, pp.61, 77; Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.161, 163; Procopius, *History of Wars*, I, pp.61, 77.

الجبهة الشرقية عام ٥٣٠م وشكل حلقة الوصل –أو ربما ممثلاً للإمبراطور– في العلاقات مع الفرس.([١١٢]) ويمكن الافتراض بأن هذا التطور جاء انعكاساً لظروف الفترة التي اتسمت بانفتاح مختلف جبهات الإمبراطورية وحروب متواصلة شرقاً وغرباً، وهو ما انعكس بدوره على النشاط الدبلوماسي الذي شهد أكبر عدد من السفارات عبر العصر البيزنطي الباكر، وربما عبر تاريخ الإمبراطورية كله، تطور استدعى كما يبدو وجود دبلوماسيين مقيمين في المناطق المشتعلة على الحدود.

وبأية حال؛ قد يكون من المهم هنا عدم الإفراط في تضخيم دور رئيس الدواوين خلال عهد جستنيان واعتباره الدور الوحيد أو الأبرز، خاصة أنه من بين السفارات السبع والثلاثين التي أمكن رصدها خلال هذه الفترة، شارك قادة عسكريون في نحو اثنتى عشرة منها، وهو عدد مساوي تماما لذلك الذي اضطلع به رئيس الدواوين ومعاونوه. ومن بين هذه السفارات خرج قائد الشرق روفينوس Rufinus في نحو ثماني منها إلي الفرس خلال الفترة من عام ٥٢٥م إلي عام ٥٣٢م([١١٣])، شارك في بعضها وذهب منفردا في البعض الأخر – وهذا ينطبق أيضا على رئيس الدواوين–، وهو ما يلمح إلي أن ما ذُكر قبلا بشأن مقاسمة الأدوار الدبلوماسية أو تبادلها بين القادة العسكريين ورئيس الدواوين ينسحب أيضا على هذه الفترة. كما أن مشاركة روفينوس في هذا العدد الكبير من السفارات خلال ثماني سنوات فقط –حتى إن كان ذلك مرتبطا باشتعال الوضع على الجبهة الشرقية– تدعم ما ذُهب إليه قبلا من تزايد أهمية معايير الوظيفة والخبرة والتخصص في اختيار مبعوثي هذه الفترة.

([١١٢]) يبدو أن هيرموجينيس أدى أكثر من دور على الجبهة الفارسية؛ ففضلا عن اضطلاعه بإرسال تقارير عن أوضاعها والمعارك الدائرة فيها إلي القصر الإمبراطوري، كان وسيطا في تبادل الرسائل بين البلاطين البيزنطي والفارسي، والمسئول عن التفاوض مع الفرس. للمزيد انظر: Malalas, *Chronicle*, pp.270, 273, 274; Procopius, *History of Wars*, I, pp.105, 195, 201.

([١١٣]) خرج روفينوس في السفارة الأولى في عام ٥٢٥م، وقتما كان قائدا عسكريا لتراقيا *magister militum per Tharacias*، كمبعوث مرافق لهيباتيوس Hypatius القائد العسكري للشرق، للتفاوض مع الفرس على الصلح ومناقشة اقتراح تبني الإمبراطور جستين للملك الفارسي. Procopius, *History of Wars*, I, pp.91-95. أما السبع سفارات الأخرى فكانت في عصر جستنيان خلال الفترة من ٥٣٠م إلي ٥٣٢م للتفاوض على الصلح وحمل الهدايا للملك وزوجته ثم توقيع المعاهدة في عام ٥٣٢م. Procopius, *History of Wars*, I, pp.105, 141-145, 203; Malalas, *Chronicle*, pp. 265, 267, 272; Theophanes, *Chronicle*, p.274; Marcellinus, *Chronicle*, p.44; Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.231-232.

وحتى يتضح تزايد أهمية هذه المعايير مقابل معيار المنزلة التشريفية، يُلاحظ أنه على الرغم من توافر المعيار الأخير في عدد ممن اضطلعوا بسفارات عهد جستنيان([١١٤])، فإنه فيما يبدو ظل لا يمثل شرطاً أساسياً في اختيار المبعوثين وقتذاك؛ فكيليريوس لم يحصل على لقبه التشريفي "قنصل" إلا في عام ٥٠٨م، أي بعد عامين من نجاحه في مهمته التفاوضية مع الفرس،([١١٥]) كما أن سفارات هيرموجينيس الست جاءت قبل حصوله على لقبي "بطريق" و"قنصل" في عام ٥٣٥م.([١١٦]) كذلك لم يحصل بطرس البطريق على اللقبين إلا بعد سفارته الثانية إلي إيطاليا عام ٥٣٦م.([١١٧]) وفي المقابل يمكن رصد أهمية معياري الخبرة والتخصص خلال عصر جستنيان في استمرار استثمار الأصل العرقي والجغرافي للمبعوث([١١٨])، وفي

([١١٤]) من بين نحو ثلاثين مبعوث أمكن حصرهم في عهد جستنيان، لم تشر المصادر سوى إلي حصول خمسة منهم فقط على ألقاب تشريفية وقت اضطلاعهم بسفاراتهم، وهم: (١)روفينوس المذكور في المتن، (٢)دومنيكوس Domnicus عضو السناتو الذي شارك في سفارة إلي فيتيجيس Vitigis ملك القوط الشرقيين في إيطاليا في أوائل عام ٥٤٠م لعقد اتفاق سلام واقتسام مملكته مع البيزنطيين. Procopius, *History of Wars*, IV, p.125; *PLRE*, IIIb, p.865. (٣)يوحنا ابن المبعوث روفينوس، ووظيفته قومس مضايق البحر الأسود *Comes Angustiarum Pontici Maris* (ومقره Hieron عند مدخل البحر)، الذي أُرسل في عام ٥٤٠م إلي الفرس للتفاوض معهم. Procopius, *History of Wars*, I, p.317; *PLRE*, IIIb, pp.625-626. (٤)"رئيس الدواوين بطرس البطريق. (٥)بامفرونيوس Pamphronius أحد كبار الموظفين المدنيين في إيطاليا، والذي أرسله القائد نارسيس في عام ٥٦١م لمعسكر القائد الفرنجي أميجوس Ammigus على نهر أتيسوس Attisus للتفاوض معه على الانسحاب وعدم الاشتباك مع القوات البيزنطية لوجود معاهدة صلح سارية بين الطرفين. Menander, *History*, p.49; *PLRE*, IIIb, p.962. وعن بقية المبعوثين الذين لم تذكر المصادر شيئا عن حصولهم على هذه المنزلة، انظر الجدول الملحق بهذا البحث.

([١١٥]) *PLRE*, II, pp.275-277.

([١١٦]) *PLRE*, IIIa, p.590.

([١١٧]) *PLRE*, IIIb, pp.994.

([١١٨]) يبدو أن استهلال بطرس البطريق نشاطه الدبلوماسي بإيطاليا كان مرتبطا بأصله الإليري. *PLRE*, IIIb, pp.994-997. كما يمكن ملاحظة هذا الاعتبار بوضوح في سفارة أناستاسيوس Anastasius، أحد كبار مواطني مدينة دارا Dara الحدودية، إلي الفرس في عام ٥٣٩م. Procopius, *History of Wars*, I, p.291; *PLRE*, IIIa, p.63. وسفارة الخصي الأبخازي يوفراتاس Euphratas، "مساعد كبير حجاب" *primicerius sacri cubiculi*، إلي بني جلدته الأبخازيين *Abasgi* في أربعينيات القرن السادس لإبلاغهم بمرسوم جستنيان لحظر عادة الإخصاء المنتشرة بينهم. Procopius, *History of Wars*, V, p.81; Evagrius Scholasticus, *The Ecclesiastical History*, trans. M. & M. Whitby, Liverpool, 2000, p.221; *PLRE*, IIIa, pp.465-466. وتقع أبخازيا (المعروفة في المصادر البيزنطية الباكرة باسم أباسجيا *Abasgia*) على الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود، بين البحر وجبال القوقاز، وصارت منذ القرن الرابع جزءً

اضطلاع مبعوثين أخرين –بخلاف روفينوس وهيرموجينيس وبطرس– بأكثر من سفارة؛ فألكسندر Alexander، القومس وعضو السناتو، خرج في ثلاث سفارات إلي الفرس والقوط الشرقيين في إيطاليا خلال عامي ٥٣١م و٥٣٤م.(١١٩) كما شارك قونسطانطيانوس Constantianus، خطيب القسطنطينية، في ثلاث سفارات إلي الفرس عام ٥٤٤م، صاحبه في اثنتين منها خطيب أخر يُدعى سرجيوس Sergius.(١٢٠)

وثمة شاهد أخر مهم على تنامي معياري الخبرة والتخصص في اختيار المبعوثين الدبلوماسيين خلال هذه الفترة يكمن في ظهور ما يمكن تسميته بـ "التوريث"؛ فرغم صعوبة –وربما خطأ– توصيف مهمة المبعوث الدبلوماسي حتى ذلك الحين بـ "الوظيفة"، إلا أنه يمكن تتبع توظيف عدد من أفراد الأسرة الواحدة في مهام دبلوماسية إلي ذات الوجهة الخارجية، الأمر الذي قد يطرح فرضية انتقال الخبرات الدبلوماسية واستثمار السلطات البيزنطية لها. ولنبدأ بأسرة يوفراسيوس Euphrasius المتخصصة في المهام الدبلوماسية إلي العرب؛ فيوفراسيوس أُرسل من قبل الإمبراطور أناستاسيوس في عام ٥٠٢م للتفاوض مع الحارث الكندي Arethas على شروط الصلح(١٢١)، واضطلع ابنه أبراهام Abraham بسفارتين في عامي ٥٢٤م و٥٢٨م، خرج في الأولى بأمر من الإمبراطور جستين الأول (٥١٨–٥٢٧م) Justin I للتفاوض حول الصلح مع المنذر، وفي الثانية أرسله جستنيان لعقده مع قيس زعيم قبيلتي كندة *Kindinoi*

من مملكة لازيقا Lazika، حتى جاء جستنيان وأخضع المملكة بأكملها للسيادة البيزنطية. ونجح في تنصيرها خلال أربعينيات القرن السادس، وظلت كذلك حتى عهد هرقل والفتوحات الإسلامية. للمزيد انظر: Garsoïan, "Abchasia", *Oxford Dictionary of Byzantium*, I, p.3

(١١٩) شارك ألكسندر في سفارتين إلي الفرس في عام ٥٣١م للتفاوض على عقد الصلح. Malalas, *Chronicle*, p.267; Procopius, *History of Wars*, I, pp.105, 141-145, 203; *PLRE*, IIIb, pp.41-42. وخرج بالثالثة في عام ٥٣٤م لنقل رسالة سرية من جستنيان إلى آمالاسونثا تعرض وضع إيطاليا تحت وصايته نظير حماية ابنها الملك الصغير أثالاريك من أطماع ثيوداهاد ابن أمالافريدا Amalafrida شقيقة الملك المتوفي ثيودريك. Procopius, *History of Wars*, III, pp.27-29.

(١٢٠) خرج قونسطانطيانوس وسرجيوس بالسفارة الأولى في عام ٥٤٣م للتفاوض على الصلح مع الملك الفارسي المحاصر لمدينة الرها. Procopius, *History of Wars*, I, pp.475, 497, 501، ثم خرجا معا ثانية في عام ٥٤٤م لعقد صلح مدته خمس سنوات مع الفرس. Procopius, *History of Wars*, I, p.517. أما السفارة الثالثة التي خرج فيها قونسطانطيانوس فكانت قبل السفارة الأخيرة مباشرة، وذهب فيها كمبعوث مساعد لماركيلاس Marcellas، ابن شقيقة جستنيان وأحد القادة على الجبهة الشرقية، للتفاوض مع الفرس على الصلح. Procopius, *History of Wars*, I, pp.515-517.

(١٢١) Nonnosos, in: Photius, *The Bibliotheca*, trans. N.G. Wilson, London, 1994, p.27; *PLRE*, II, p.425.

ومعد *Maadenoi* العربيتين.(١٢٢) وأخيرا شارك الحفيد نونوسوس Nonnosos في سفارة أرسلها جستنيان في عام ٥٣١م إلي قيس لتسليمه دعوة بالحضور إلي البلاط الإمبراطوري.(١٢٣) ويعقد بعض الباحثين صلة بين السفارة الأخيرة وتلك التي خرج بها الماجستيريانوس جوليانوس إلي الأحباش والحميريين في ذات السنة(١٢٤)، والذي أُرسل شقيقه سوموس Summus، قائد جيش فلسطين *dux Palestinae*، بعد عام ٥٣٢م في سفارة أخرى إلي المنذر لتحريضه على التخلي عن تحالفه مع الفرس والانضمام إلي الجانب البيزنطي.(١٢٥)

وإذا كانت هذه الشواهد توحي بأننا أمام أسرتين متخصصتين في المهام الدبلوماسية إلي العرب، يبدو أن هناك أسرً أخرى تخصصت في العلاقات مع كل من الغرب والفرس؛ فعضو السناتو ألكسندر المُشار إليه قبلا، والذي ذهب بسفارة إلي القوط الشرقيين في إيطاليا عام ٥٣٤م، أُرسل شقيقه أثناسيوس Athanasius إلي ذات الوجهة في عام ٥٣٦م للإشراف على تسليم ثيوداهاد Theodahad ملك القوط الشرقيين إيطاليا ووضعها تحت الحماية البيزنطية(١٢٦). وفي عام ٥٥١م أُرسل زوج ابنة الأخير، عضو السناتو ليونتيوس Leontius، إلي زعيم الفرنجة ثيوديبالد Theudibald لدعوته إلي عقد تحالف هجومي ضد توتيلا Totila زعيم القوط الشرقيين.(١٢٧) أما فيما يتعلق بالمهام الدبلوماسية مع الفرس فلدينا نموذج أبناء المبعوثين الشهيرين روفينوس وبطرس البطريق؛ فابن الأول المدعو يوحنا، قومس مضايق البحر

---

(١٢٢) Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, p.206; Nonnosos, p.27; *PLRE*, II, p.3. قد يطرح اسم أبراهام في حد ذاته فرضية أصله العربي –أو على الأقل الشرقي–، وهي فرضية وإن كان من الصعب التثبت منها في ظل الافتقار إلى مزيد من الشواهد، إلا أنها غير مستبعدة.

(١٢٣) Nonnosos, p.27. عن هذه الأسرة ونشاطها الدبلوماسي مع العرب انظر أيضا: Shahid, I.K., "Byzantium and Kinda", *Byzantinische Zeitschrift* 53/1(1960), pp.57-73؛ نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلي القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٠٠–٢٠٣.

(١٢٤) Malalas, *Chronicle*, p.268, and n.56; Procopius, *History of Wars*, I, p.193; Theophanes, *Chronicle*, pp.361, 363 n.7. يرى سيدني سميث وعرفان شهيد أن سفارتي جوليان ونونوسوس سفارة واحدة، بينما ترى بيغوليفسكيا بأن ثمة اختلاف واضح في طابع كل منهما. عن هذه الآراء ومبرراتها انظر: بيغوليفسكيا، العرب، ص٢٠٣–٢٠٤؛ Shahid, "Kinda", pp.61,63; Smith, S., "Events in Arabia in the 6th Century AD", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 16(1954), pp.425-468, esp.449-450.

(١٢٥) Procopius, *History of Wars*, I, pp.263-265.

(١٢٦) Procopius, *History of Wars*, III, pp.55-57.

(١٢٧) Procopius, *History of Wars*, V, p.313.

الأسود *Comes Angustiarum Pontici Maris*، أُرسل من قبل جستنيان في عام ٥٤٠م للتفاوض مع الملك الفارسي في أنطاكية، بينما أُرسل ثيودور Theodore ابن بطرس البطريق وخليفته في وظيفة رئيس الدواوين للتفاوض وإقامة السلام على الحدود مع الفرس في عام ٥٧٦م.([١٢٨])

وقد تكون هناك مشروعية للربط بين فرضية "التوريث" أو نقل الخبرات الدبلوماسية وما عكسته الشواهد المصدرية من حالات اصطحب فيها المبعوثون أبنائهم أثناء اضطلاعهم بسفارات خارجية.([١٢٩]) كما يمكن ربط ذلك كله بما سجله لنا بروكوبيوس من خروج الملك الفارسي عن العرف الدبلوماسي المألوف بمخاطبته المبعوث البيزنطي روفينوس بلقب "ابن سيلفانوس Silvanus"([١٣٠])، إذ أن ندرة إشارة المصادر إلي استخدام مثل هذه الألقاب في الاتصالات الدبلوماسية بين بيزنطة وفارس توحي بأن سيلفانوس هذا كان معروفا في البلاط الفارسي، ولعله كان مبعوثا بيزنطيا سابقا، وأن اضطلاع روفينوس بثماني سفارات إلي فارس – وهو العدد الأكبر الذي سجلته مصادر العصر الباكر لسفارات مبعوث واحد إلي أي وجهة خارجية– كان امتدادا لخبرات نقلها الأب إلي الابن، ثم نقلها الابن بعد ذلك إلي الحفيد. وقد تتأكد مثل هذه الفرضية بإشارة أخرى لبروكوبيوس وردت في سياق حديثه عن تعهد الإمبراطور

([١٢٨]) Menander, *History*, pp.181-192; Theophylact Simocatta, *The History of Theophylact Simocatta*, trans. M. & M. Whitby, Oxford, 1986, p.96; John of Ephesus, *Ecclesiastical History*, pp.293, 391, 403.

([١٢٩]) يمكن رصد حالات اصطحاب المبعوثين لأبنائهم منذ عصر ثيودوسيوس الثاني؛ فقد اعتقل آتيلا ابن فيجيلاس المترجم مهددا بقتله عندما اكتشف مشاركة الأخير في مؤامرة البلاط البيزنطي لقتله. ويعلق بريسكوس على ذلك بقوله: "أمر آتيلا بإحضار ابن فيجيلاس، الذي تصادف مرافقته لأبيه لأول مرة إلى بلاد البرابرة". Priscus, pp.295-296. وفي عهد جستنيان اصطحب سوتيريخوس Soterichus ولديه الكبيرين فيلاجريوس Philagrius ورومولوس Romulus أثناء سفارته إلي الشعوب البربرية المجاورة الخاضعة لملك لازيقا في عام ٥٥٦م. Agathias, *Histories*, trans. J.D. Frendo, New York, 1975, pp.85-86; *PLRE*, ii, pp.1180-1181. والجدير بالذكر أن هذه العادة لم تكن قاصرة على البيزنطيين وحدهم؛ فبروكوبيوس يشير إلى سفارة إيسديجوسناس Isdigousnas الفارسي الذي وفد إلى البلاط الإمبراطوري في خمسينيات القرن السادس مصطحبا معه زوجته وابنتيه وأخيه. Procopius, *History of Wars*, V, pp.149-150. كذلك ثمة حالة مماثلة لتوريث الابن مهمة أبيه الدبلوماسية، هذه المرة عند الترك الغربيين *Turchioi* المتاخمين للفرس والبيزنطيين؛ فكما يروي ميناندر ورث ابن مانياخ Maniakh وظيفة أبيه المتوفي كمبعوث من قبل خان الترك سيزابول Sizabul إلى البلاط البيزنطي. عن السفارات التي اضطلع بها كل من الأب والابن إلي بيزنطة في أواخر ستينيات القرن السادس، انظر: Menander, *History*, pp.115, 117, 123.

([١٣٠]) Procopius, *History of Wars*, I, p.141.

جستين لمبعوثي كسرى الأول (٥٣١–٥٧٩م) Chosroes I بإرسال مبعوثين بيزنطيين من "أنبل" و"أعلى المراتب" للتفاوض على الصلح ومناقشة مقترح تبنيه للملك الفارسي؛ فوفقا لبروكوبيوس: "ولذلك أُرسل البطريق هيباتيوس Hypatius ابن شقيقة الإمبراطور الراحل أناستاسيوس وقائد الشرق، وروفينوس ابن سيلفانوس، الرجل ذو المكانة بين البطارقة والمعروف للملك الفارسي الراحل قباذ([١٣١]) من خلال أجداده".([١٣٢]) وربما يفسر ذلك كله ما سجله زكريا الميتيليني عن الدور الخاص والنفوذ الكبير الذي أحرزه روفينوس في البلاط الفارسي وقت سفارته برفقة رئيس الدواوين هيرموجينيس للتفاوض وعقد الصلح مع كسرى؛ فوفقا لقوله: "كان روفينوس معروفا هناك جيدا، ففضلا عن كونه قد أُرسل عدة مرات إلي الملك الراحل قباذ وصار صديقا له، فقد اعتاد أن يقدم الهدايا الكثيرة والفاخرة لكبار رجال المملكة وللملكة والدة كسرى. ولأن الأخيرة كانت ممتنة له لنصيحة كان قد أسداها لزوجها قبلا بأن يجعل ابنها خليفة له، فضلا عن امتنانها للراهب المبارك موسى Moses الذي عالجها من مرض ألَّم بها، فقد ألحت بشدة على ابنها، ونتيجة لذلك، بالإضافة إلي الذهب الذي حمله المبعوثان، عقد كسرى الصلح".([١٣٣]) ولا شك في أن رواية بهذه الصيغة تشير بوضوح إلي ما يمكن تحقيقه من ميزات وفوائد عبر استثمار عنصري الخبرة والتخصص في المبعوثين الدبلوماسيين([١٣٤]).

ولعل إشارة زكريا الميتيليني إلى ما حققته قدرات الراهب موسى العلاجية من تأثير في صنع القرار السياسي الفارسي تمثل نقطة انطلاق مناسبة لتناول فئة أخرى، غير أرباب الوظائف المدنية والعسكرية، ظهر دورها في عدد من المهام الدبلوماسية خلال عهد جستنيان وخلفائه

([١٣١]) قباذ الأول (٤٨٨-٤٩٦م/ ٤٩٨-٥٣١م) Cabades I.

([١٣٢]) Procopius, *History of Wars*, I, pp.85, 89, 91.

([١٣٣]) Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.230-231.

([١٣٤]) قد يكون من الأفضل هنا اقتباس تعليق أ.د.لي المتميز على هذين العنصرين؛ إذ يقول: "إن ميزة إرسال الشخص نفسه كمبعوث إلي ذات الوجهة مرة أخرى –الأمر الذي يشي بالطبع أنه أثبت جدارة في المرة الأولى– لا ترتبط فقط بمجرد اعتياد وألفة ظروف البلد المُوفد إليه وعاداته وناسه، ومن ثم الجاهزية للتعاطي مع ما قد يواجه من صعوبات، بل أيضا بما تتيحه من فرص لتطوير واستثمار الاتصال ببلاط هذا البلد". ويقول أيضا: "قد يرى المرء هذه الظاهرة كنوع من الاعتزاز بتقليد عائلي، أو كنوع من المحاباة في التوظيف، إلا أن ثمة معنى أكثر أهمية يكمن ورائها بوضوح؛ فوجود ابن مبعوث سابق ممن حققوا شهرة وحظوة في البلاط الأجنبي يتيح له استثمار سمعة أسرته هناك، ومن ثم يبدأ مهمته بميزة مهمة إذا ما قورن بأي شخص أخر غير معروف". Lee, *Information and Frontiers*, pp.46-47. ويمكن هنا ربط استنتاجات أ.د.لي بما سجله زكريا الميتيليني في إشارة أخرى بقوله: "ولأن هذا الرجل (كسرى) كان ممتنا لروفينوس لكونه نصح أبيه بأن يجعله خليفة له، فقد راح روفينوس يلح على الإمبراطور ويؤكد له قدرته على تأمين الصلح المرجو إن سمح له بالذهاب بنفسه لمقابلته في مملكته". Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, p.230.

المباشرين، وأعنى هنا تحديدا فئة الأطباء. ويزودنا أجاثياس Agathias بأول شواهد هذا الدور عند حديثه عن أورانيوس Uranius، طبيب وفيلسوف القسطنطينية ذو الأصل السوري، الذي طلب من "المبعوث" أريوبيندوس Areobindus مرافقته في سفارته إلي بلاد فارس بعد عام ٥٣٢م.(١٣٥) أما الحالة الثانية –التي يسجلها لنا بروكوبيوس– فهي للطبيب الرهاوي استيفانوس Stephanus الذي رافق خطيبي القسطنطينية قونسطانطيانوس وسرجيوس في سفارة إلي الملك الفارسي المحاصر للرها في عام ٥٤٤م.(١٣٦) وأخيرا يأتي ما سجله عدد من المصادر عن زكريا Zacharias أحد أطباء القصر *archiatri sacri palatii*، الذي ذهب في خمس سفارات إلي البلاط الفارسي خلال الفترة من ٥٧٤م إلى ٥٨٠م.(١٣٧)

وقد استرعى هذا الدور اهتمام روجر بلوكلي فأفرد له دراسة متخصصة حلل فيها ما أسماه "ظاهرة المبعوثين الأطباء"، وسعى إلي تفسير مشكلة التباين الواضح بين مكانة الأطباء "العادية" في المجتمع البيزنطي الباكر(١٣٨) وما وصفه بانخراط الأطباء الثلاثة في "أعلى مستويات النشاط العام على الإطلاق، بالخدمة في سفارات إلي الفرس والقيام بدور رئيسي، لا ثانوي، في المفاوضات"(١٣٩)، وفي الوقت الذي اعتبر زكريا حالة استثنائية لكونه طبيب بالقصر حظى بمكانة رفيعة وقدرة على الاتصال الشخصي بالإمبراطور، فسر مشاركة أورانيوس واستيفانوس بالتقدير الكبير الذي حظيت به كل من الفلسفة والطب اليوناني في البلاط الفارسي وقتذاك.(١٤٠) وخلص بلوكلي إلي أن "إحدى نقاط القوة الكبرى لدى البيزنطيين الأوائل هي دراستهم الممنهجة للشعوب المحيطة بهم، واستنادهم إلي المعرفة التي تحصلوا عليها من مثل هذه الدراسة في صياغة استراتيجيتهم للتعامل مع الشعوب الأخرى سياسيا وعسكريا. لقد أدركوا

---

(١٣٥) Agathias, *Histories*, pp.63-67; *PLRE*, IIIa, p.110.

(١٣٦) Procopius, *History of Wars*, I, pp.475, 497, 501.

(١٣٧) Menander, *History*, p.159, 161, 197, 181-182, 205-213, 229; Evagrius, *Ecclesiastical History*, p.271; Theophylact Simocatta, *History*, p.96; John of Ephesus, *Ecclesiastical History*, pp.293, 403.

(١٣٨) يشير بلوكلي إلي أن سمعة ومكانة الأطباء في العصر البيزنطي الباكر كانت متدنية بوجه عام، باستثناء هيئة أطباء البلاط الإمبراطوري الذين حظوا بمكانة رفيعة كرجال السناتو. Blockley, "Doctors", pp.89-90. وانظر أيضا: Jones, *Later Roman Empire*, II, p.1013؛ عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد الخامس (٢٠٠٦-٢٠٠٧م)، ص٣٣-٩٨.

(١٣٩) Blockley, "Doctors", pp.89-90.

(١٤٠) Blockley, "Doctors", pp.93-96.

شعبية الطب اليوناني في البلاط الفارسي، وعرفوا قابلية كسرى للمرض وتقديره للأطباء، ولذلك ضمنوا الأطباء في سفاراتهم، خاصة الكبرى منها".(١٤١) وفي نفس الاتجاه سارت أيضا نيتشايفا موضحة أن دراسة بلوكلي تدفعها إلي تقديم "سطور عامة وموجزة" عن الموضوع، ورغم تبنيها الكامل لآراء بلوكلي، فإنها أولت اهتماما خاصا بأهمية الطب اليوناني عند الفرس، واستندت إلي عدد من الشواهد المصدرية لتعيد صياغة ما استنتجه بلوكي قبلا بقولها: "لم يكن مصادفة أن تكون فارس هي الوجهة الرئيسية لدبلوماسية الطب، حيث كان هناك تقدير دائم لحرفة الطب اليوناني؛ فالمبعوثين الأطباء حظوا على الأرجح باتصالات وعلاقات شخصية داخل البلاط الفارسي، بسبب أمراض متوطنة بين ملوك الفرس... وفي الواقع كان توظيفهم كمبعوثين نوعا من اللعب على نقاط الضعف لدى الطرف الأخر".(١٤٢)

ولا شك في وجاهة هذه الآراء واحتمالية صحتها، خاصة في ظل توفر إشارات مصدرية عن أهمية وتأثير الأطباء البيزنطيين في البلاط الفارسي وقتذاك(١٤٣)، إلا أن إقرار بلوكلي نفسه بأن هذه السفارات-باستثناء أخرها- وفدت إلي البلاط الفارسي في عهد ملك واحد، هو كسرى الأول(١٤٤)، يطرح مشكلة تفسير التباين الواضح بين ما وصفته نيتشايفا بتقدير الفرس الدائم للطب اليوناني وما تعكسه مصادر العصر الباكر من غياب لسفارات الأطباء(١٤٥)

---

(١٤١) Blockley, "Doctors", p.96.

(١٤٢) Nechaeva, *Embassies*, p.26.

(١٤٣) يصف بروكوبيوس الطبيب تريبونوس Tribunus بأنه كان رجلا ذو علم عظيم، لا يرقى أحد إلي مهارته في الطب"، ويروي كيف أن الملك الفارسي اعتاد أن يجمع حوله الأطباء من شتى الأنحاء، إلا أن تريبونوس وحده استطاع علاجه من مرض خطير، فمنحه هدايا كثيرة وثمينة عاد بها إلي بيزنطة، وعندما أرسل الإمبراطور جستنيان سفارة الخطيبين قونسطانطيانوس وسرجيوس لعقد الصلح مع الملك الفارسي وقت حصارهم للرها في عام ٥٤٤م (التي ذهبت بعد سفارة ستيفانوس الرهاوي مباشرة)، اشترط الأخير إرسال الطبيب تريبونوس لقضاء عام في صحبته، وبعد انقضاء العام سأله الملك الفارسي عن أمنية يحققها له، فطلب منه أن يطلق سراح عدد من الأسرى البيزنطيين، ولبى كسرى طلبه بأن أطلق سراح ثلاثة آلاف أسير، كما أطلق سراح عدد من الأسرى البارزين ممن طلبهم الطبيب بالاسم. Procopius, *History of Wars*, I, p.517; V, pp.145-6. كما يشير زكريا الميتيليني إلى تمتع أطباء بيزنطيين أخرين بنفوذ مماثل لدى الملك الفارسي، حيث استطاعوا من خلال هذا النفوذ تحسين أوضاع الأسرى البيزنطيين في فارس. Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.331-332. ولمزيد من التفاصيل انظر: عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين"، ص٨٠-٨٢.

(١٤٤) Blockley, "Doctors", p.90.

(١٤٥) لم تسجل المصادر إلا حالة واحدة، وصفتها نيتشايفا بالسفارة "المحلية"، وهي حالة الطبيب ثيودور الذي أرسله القائد البيزنطي بريسكوس استجابة لرغبة الآفار في مناقشة مقترح الصلح. ويصفه ثيوفلاكت سيموقطا

أو لأهمية الطب اليوناني عند الفرس قبل هذا العهد أو بعده(١٤٦)، الأمر الذي قد يستدعى وضع سفارات "الدبلوماسيين الأطباء" في إطارها الطبيعي وعدم تضخيم مضامينها واعتبارها حالة تخص عهد بعينه لا ظاهرة تنسحب على العصر البيزنطي الباكر بأكمله.

ومن هذا المنطلق يبدو من المهم إعادة قراءة كل من سفارات الأطباء الثلاثة وفق الظروف التي أحاطت بها؛ فالطبيب زكريا في سفارته الأولى لم يكن "مبعوثا رئيسيا" –كما يذهب بلوكلي(١٤٧)– أو ممثلا لشخص الإمبراطور(١٤٨)، بل كان مجرد حامل رسالة من الإمبراطورة صوفيا Sophia إلي الملك الفارسي تناشده فيها قبول عقد هدنة لمدة عام(١٤٩)، وخلال هذا العام –كما يذكر ميناندر– "سترسل الإمبراطورة سفارة رئيسية تحظى بكامل الصلاحيات لمناقشة

بالطبيب الماهر في حرفته والبارع في حديثه والعارف بالتاريخ. الأمر الذي أدهش خان الآفار عندما لمس براعته وغزارة ثقافته. Theophylact Simocatta, *History*, p.176; Nechaeva, *Embassies*, p.125.

(١٤٦) صادف الباحث حالتين فقط لا تتعلقان بالأطباء وإنما بتأثير المعجزات الشفائية في جذب ملوك الفرس أو القوى المجاورة لهم تجاه المسيحية، وبطبيعة الحال قد يكون من المهم قراءة هاتين الحالتين في سياق الاتجاه النمطي العام الذي عكسته الكتابات المسيحية المبكرة –بما في ذلك كتابات مؤرخي الكنيسة– لإبراز دور هذه المعجزات في انتشار المسيحية. إذ يروي سوزمين (في حوالي عام ٣٢٨م) قصة أسيرة مسيحية نجحت بفضل معجزاتها الشفائية في اجتذاب ملكة إيبريا –المتاخمة لأرمينيا– إلى المسيحية. Sozomen, *History of Church* , pp.61-62. وقد سجل ثيودوريت القورشي ذات القصة معلقا بأن شهرة معجزات هذه الأسيرة ناتجة عن "جهل البرابرة بالطب". Theodoretus of Cyrus, *A History of the Church from A.D. 322 to the death of Theodore of Mopsuestia A.D. 427*, London, 1843, pp.73-75. أما الحالة الثانية فيسجلها سقراطيس، وتتعلق بسفارتي الأسقف ماروثاس Maruthas، الذي أرسله الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلي فارس في عام ٤٠٩م لتنصير الملك الفارسي يزدجرد الأول (٣٩٩–٤٢٠م) Yazdgird I. وكما يروي سقراطيس، استطاع الأسقف عبر صلواته علاج الملك من آلام صداع شديدة كان يعاني منها منذ فترة طويلة؛ فأمر الملك ببناء الكنائس في أي مكان يريده الأسقف و"منذئذ انتشرت المسيحية بين الفرس"، وكان الملك على وشك التنصر بفعل معجزة أخرى للأسقف، إلا أن الموت حال دون ذلك. Socrates, *History of Church*, pp.340-342.

(١٤٧) Blockley, "Doctors", p.91.

(١٤٨) كانت هذه السفارة في أوائل عام ٥٧٤م، بعد إصابة جستين الثاني بلوثة عقلية إثر سقوط حصن دارا Daras ذو الأهمية الاستراتيجية في أيدي الفرس واضطلاع زوجته صوفيا بشئون الحكم بمساعدة القيصر تيبريوس Tiberius (الإمبراطور تيبريوس الثاني فيما بعد).Menander, *History*, p.157.

(١٤٩) جاءت هذه الرسالة ردا على رسالة من الملك الفارسي، وكما يذكر ميناندر "عندما قرأت صوفيا الرسالة ردت بأنها سترسل مبعوثا إلي الملك الفارسي لمناقشة سائر نقاط الخلاف. وأُرسل زكريا، أحد أطباء القصر، حاملا رسالة من الإمبراطورة". Menander, *History*, p.159.

كافة الأمور وإنهاء الحرب"(١٥٠). وكما يروي إيفاجريوس، كتبت صوفيا إلى كسرى الأول (٥٣١-٥٧٩م) "تندب سوء حظ زوجها وافتقار الدولة إلي قائد يوجه دفتها، قائلة له أن عليه ألا يقسو على سيدة ضعيفة وإمبراطور مُنهك وحكومة متداعية، وأن يتذكر كيف أمدته الإمبراطورية بأفضل الأطباء والعلاج الناجع وقتما كان يعاني المرض"(١٥١). وحتى تؤتي رسالة بهذه الصيغة ثمارها كان من الطبيعي -بل والأجدى- أن يحملها طبيب من القصر دون غيره، ويبدو أن نجاح هذا الطبيب في إنجاز مهمته أهله للمشاركة كـ "مبعوث مساعد" ثم كـ "مبعوث رئيسي" في أربع سفارات لاحقة.(١٥٢) والأرجح أن معياري الأصل الشرقي والخبرة المتراكمة كانا حاضرين بقوة في ذهن السلطة الإمبراطورية عند اختيارها لزكريا كمبعوث في هذه السفارات، وربما كانا أيضا بقدر أهمية كونه طبيب بالقصر.

وإذا كانت حرفة الطب قد لعبت دورا في اختيار زكريا كحامل لرسالة صوفيا إلي الملك الفارسي، فإن سفارة الطبيب استيفانوس افتقدت أية صفة رسمية -وهو ما أقره بلوكلي نفسه(١٥٣)- لكونه خرج كمتحدث عن أهل الرها أثناء محاصرة الملك الفارسي لمدينتهم في عام

---

(١٥٠) Menander, *History*, p.159. وفي هذا الصدد يشير إيفاجريوس إلى أن السفارة الرئيسية ذاتها، والتي خرج فيها الطبيب زكريا في أواخر عام ٥٧٤م كمبعوث مساعد للبطريق تراجان Trajan، الكوايستور وعضو مجلس السناتو، ذهبت للتفاوض باسم صوفيا وحدها، أو كما ذكر إيفاجريوس: "خرج تراجان لا بصفته ممثل للسلطة الإمبراطورية أو حتى الحكومة، بل لإدارة المفاوضات نيابة عن صوفيا". Evagrius, *Ecclesiastical History*, p.271.

(١٥١) Evagrius, *Ecclesiastical History*, p.271.

(١٥٢) بالإضافة إلي مرافقة زكريا للبطريق تراجان في سفارته للتفاوض مع الفرس وعقد صلح لمدة ثلاث سنوات. Menander, *History*, pp.161, 197; Evagrius, *Ecclesiastical History*, p.271، خرج في سفارة أخرى في عام ٥٧٦م كمرافق لقومس الخزانة العامة ثيودور (رئيس دواوين الحكومة السابق وابن بطرس البطريق) والبطريقين يوحنا وبطرس (من عائلة الإمبراطور الراحل أناستاسيوس) للتفاوض وعقد السلام على الحدود Menander, *History*, pp.181-192; Theophylact Simocatta, *History*, p.96; John of Ephesus, *Ecclesiastical History*, pp.293, 403. وفي عام ٥٧٩م اضطلع زكريا بسفارة، رافقه فيها أحد ضباط فرقة الحرس الإمبراطوري يُدعى ثيودور Theodore، للتفاوض وعقد الصلح. Menander, *History*, pp.205-213. وأخيرا ذهب زكريا منفردا في عام ٥٨٠م لنفس المهمة. Menander, *History*, p.229. ولعل منحه لقب القنصلية قبل مغادرته في سفارته الرابعة إلي الفرس (في عام ٥٧٩م) -والأولى كمبعوث رئيسي- مؤشرا على حدوث تغير ما في وضعيته الدبلوماسية.

(١٥٣) Blockley, "Doctors", p.91.

٥٤٤م.([١٥٤]) كذلك لم تشر رواية أجاثياس إلي صفة أورانيوس الدبلوماسية في السفارة التي شارك فيها، ولعله كان مجرد مرافق غير ذي صفة أو على أكثر تقدير مبعوث مساعد، كما لم تشر إلي دور السلطة الإمبراطورية في اختياره –وإن كان الحصول على موافقتها أمرا متوقعا–، وكل ما ذكرته أن أورانيوس هذا "خطط لإقناع المبعوث أريوبيندوس بأن يصطحبه إلي فارس".([١٥٥]) وعلى ذلك قد لا تعبر هاتان الحالتان عما ذهب إليه كل من بلوكلي ونيتشايفا بشأن وجود سياسة بيزنطية رسمية سعت إلي تضمين الأطباء كمبعوثين دبلوماسيين في السفارات الكبرى خلال هذه الفترة. كذلك بينما لم يشارك كل من أوارنيوس واستيفانوس إلا في سفارتين من تسع عشرة سفارة خرجت منذ عام ٥٣٢م حتى نهاية عهد جستنيان، لم يكن الطبيب زكريا سوى مبعوثا واحدا من بين نحو أربعة عشر مبعوثا اضطلعوا بسفارات دبلوماسية خلال عهدي جستين الثاني وتيبريوس الثاني (٥٧٨–٥٨٢م) Tiberius II، جلهم إن لم يكن كلهم من الموظفين المدنيين والعسكريين.([١٥٦])

وعند هذه النقطة قد يكون من المهم التوقف قليلا عند رواية أجاثياس عن الطبيب أورانيوس لما تحمله من تشابه مع رواية يونابيوس –سالفة الذكر– عن الفيلسوف يوستاثيوس الذي شارك في سفارة إلي البلاط الفارسي في عام ٣٥٨م؛ فكما نجح الأخير ببلاغته وفصاحته في إثارة إعجاب الملك الفارسي أثناء مرافقته له على مائدته، إلي المدى الذي دفع الملك إلي خلع عباءته الأرجوانية وتاجه وارتداء عباءة يوستاثيوس نفسه([١٥٧])، استحوذ أورانيوس على اهتمام كسرى بالقدر الذي دفعه إلي استدعاء فلاسفة مملكته لمناقشته في قضايا فلسفية تتعلق

([١٥٤]) يذكر بروكوبيوس عن سبب اختيار أهل الرها للطبيب استيفانوس، أنه كان طبيبا معالجا للملك الفارسي الراحل قباذ، ثم صار قريبا منه لدرجة جعلته يعهد إليه بتربية ابنه كسرى، فضلا عن أنه استجاب لنصيحته بأن يجعل كسرى خليفة له. وهو الأمر –كما يسجل بروكوبيوس– الذي لم يغفل استيفانوس التذكير به عندما بدأ المفاوضات مع كسرى. Procopius, *History of Wars*, I, p.493. ومن الملاحظ هنا تشابه هذه الرواية مع ما نسبه زكريا الميتيليني للمبعوث البيزنطي روفينوس من نفوذ جعله يؤثر على قباذ في اختيار كسرى خلفا له. Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.230-231. وهو تشابه يصعب تفسيره إلا بشيوع فكرة التأثير البيزنطي في مسألة خلافة كسرى لأبيه في الإمبراطورية، ومن ثم صار نسبه إلى أي شخص حقق نفوذا لدى الفرس أمرا نمطيا، أو أن أي منهما أو كليهما كان لهد دور حقيقي في ذلك. والتساؤل الذي يمكن إثارته هنا: لماذا لم يشهد عهد قباذ سفارات بيزنطية يقودها أطباء طالما أنه –كابنه كسرى– عانى من المرض وحمل تقديرا خاصا للأطباء البيزنطيين؟!!

([١٥٥]) Agathias, *Histories*, p.64.

([١٥٦]) انظر الجدول الملحق بالبحث.

([١٥٧]) Eunapius, *Lives of the Sophists*, pp.397-399.

بأصل الكون وجوهره ومداه. وكما يسجل أجاثياس "أنعم الملك عليه بالمال الوفير وجعله ضيفاً على مائدته وأظهر له تكريماً غير مسبوقاً، وأقسم مراراً أنه لم يجد له نظيراً... وعندما عاد أورانيوس إلى بيزنطة أرسل إليه كسرى رسائل ملؤها الود والصداقة، أظهر فيها من التوقير والاحترام ما يظهر التلميذ لمعلمه". وهنا يشير أجاثياس إلي فقرة أصر الملك الفارسي على تضمينها في معاهدته مع البيزنطيين، وهي "تهيئة الحياة الآمنة للفلاسفة دون إجبار لهم على هجر معتقداتهم الدينية التقليدية، أو شجب أي من أفكارهم".(١٥٨)

وبعقد صلة بين إشارة أجاثياس الأخيرة ورواية بروكوبيوس عن معاهدة عام ٥٤٤م التي اشترط فيها كسرى حضور الطبيب البيزنطي تريبونوس إلى فارس لقضاء عام برفقته، لمجرد أن "الملك الفارسي كان يحبه ويفتقده كثيرا"(١٥٩)، قد يتولد لدى المرء انطباع بأن الفلاسفة والأطباء شكلوا ما يمكن وصفه بـ "قوى ناعمة" استطاعت أن تلعب دورا أساسيا في العلاقات البيزنطية الفارسية، إلا أن ما يضعف هذا الانطباع ويشكك في مصداقيته كون هذه الروايات تقدم حالات فردية لا تعبر عن ظاهرة عامة، ولا تمثل مؤشرا واضحا عن سياسة بيزنطية ثابتة لتوظيف هذه القوى دبلوماسيا. ولعل انفراد أجاثياس دون غيره بروايته عن أورانيوس، وكذلك حال بروكوبيوس بالنسبة لتريبونوس، يدفع إلى الاعتقاد بأن ثمة قوالب ذهنية نمطية، بعضها حديث العهد والأخرى قديمة، تأثر بها بعض مؤرخي عهد جستنيان فيما يتعلق بتعظيم دور الفلاسفة والأطباء الدبلوماسي ونفوذهم في البلاط الفارسي.

وبأية حال، قد ينسحب ما ذُكر قبلا عن المبعوثين الأطباء على أقرانهم من الفلاسفة؛ فمع الافتقار إلى شواهد مصدرية أخرى، يظل يوستاثيوس وأورانيوس يمثلان الحالتين الوحيدتين لمشاركة الفلاسفة في العمل الدبلوماسي. كذلك علينا الوضع في الاعتبار أن مشاركتهما كمبعوثين مساعدين لم تأت بمبادرة إمبراطورية وإنما بترشيح من المبعوث الرئيسي أو أحد كبار الموظفين، ربما بسبب ما يتمتعان به من مهارات بلاغية وخطابية؛ فكما كانت مشاركة الطبيب أورانيوس بوساطة من المبعوث الرئيسي أريوبيندوس، جاءت مشاركة الفيلسوف يوستاثيوس بناء

---

(١٥٨) الجدير بالملاحظة هنا أن أجاثياس سجل هذه الرواية في سياق هجوم ضاري شنه ضد أورانيوس، حيث راح يصفه بأنه "رغم كونه لم يحظى بأي معرفة حقيقية بتعاليم أرسطو، إلا أنه اعتاد التجول في شوارع القسطنطينية وهو يتباهى بمعرفة موسوعية ويدخل في مجادلات تافهة مع أناس لم يتلقوا حتى تعليمهم الأُولي... ولأنه مدعي ومتلون كالحرباء، فقد استطاع ارتداء ثوب المعلمين والأطباء، وقدم نفسه لكسرى الذي انخدع فيه وظنه فيلسوفا حقيقيا". Agathias, *Histories*, pp.63-67.

(١٥٩) Procopius, *History of Wars*, I, p.517; V, pp.145-6.

على ترشيح الوالي البرايتوري موسونيانوس Musonianus([١٦٠]). الأمر الذي قد يقترح وجود آلية أخرى في اختيار المبعوثين –خاصة المساعدين– غير تلك التي اضطلع بها السناتو([١٦١]) ورئيس الدواوين، وقبل هؤلاء جميعا السلطة الإمبراطورية. وقد تتأكد هذه الآلية بشواهد أخرى؛ فالمؤرخ بريسكسوس يروى كيف أن مشاركته في سفارة عام ٤٤٩م جاءت بعد محاولات المبعوث الرئيسي ماكسيمينوس إقناعه بالذهاب معه([١٦٢])، كما يسجل كيف أن القائد بلينثاس القوطي، بعد اختيار السناتو له مبعوثا لآتيلا وتصديق الإمبراطور على هذا التصويت، رغب في أن يكون مدير ديوان الأرشيف إبيجينيس "مبعوثا مساعدا له".([١٦٣])

وإذا كانت هذه الحالات تكشف عن مرونة السلطة الإمبراطورية واتاحتها مساحة من الحرية للمبعوثين الرئيسيين في اختيار معاونيهم، فإن الروايات المصدرية تشي بأن هذا الاختيار لم يكن عشوائيا أو من قبيل المحاباة بل كانت له محددات معينة، أساسها إدارك المبعوثين الرئيسيين لمسئوليتهم عن نجاح أو فشل مهمتهم. ويمكن استنتاج هذه المحددات من خلال وصف أميانوس ماركيللينوس للفيلسوف يوستاثيوس بكونه "أستاذ فن الإقناع"، ونعته لسبيكتاتوس –سكرتير ذات السفارة بـ "تلميذ الفيلسوف إيمبيليكوس Iambilicus".([١٦٤]) كذلك يمكن فهم سر اختيار المؤرخ بريسكوس كمبعوث مساعد في اعتماد المبعوث الرئيسي عليه في إدارة العديد من المفاوضات غير الرسمية مع قادة الهون وزوجة آتيلا.([١٦٥]) ويعلق بريسكوس نفسه على سبب

([١٦٠]) Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, p.339; trans. Hamilton, p.125.

([١٦١]) يسجل بريسكوس آلية مهمة ربما أُستخدمت أحيانا في اختيار المبعوثين الدبلوماسيين، إذ يقول" "عندما رغب الرومان في إرسال سفارة إلي الهون، أعلن كل من بلينثاس القوطي وديونيسيوس التراقي Dionysius، وكلاهما قائدا وقنصلا، عن رغبتهما في الذهاب بها، فأوصى السناتو بإرسال بلينثاس كمبعوث ، وصدق الإمبراطور على هذا التصويت". Priscus, p.225. ويبدو أن ثمة دور اضطلع به السناتو في الشئون الخارجية –على الأقل في القرن الخامس– إذ يسجل مالخوس دعوة الإمبراطور زينون إلي اجتماعه لاستشارة أعضائه في اختيار التحالف مع أحد الخصمين، ثيودوريك سترابو أو سميه ابن ثيودومير. كما يشير إلى اضطلاع ثلاثة من رجال السناتو بالتحقيق مع ثلاثة من مواطني القسطنطينية كانوا يراسلون ثيودريك سترابو سرا ويمهرون رسائلهم بتوقيعات كبار الموظفين، وبعد أن ثبتت إدانتهم حُكم عليهم بالنفي المؤبد. Malchus, pp.421, 423. وربما كان لهذا الدور تأثيرا في اضطلاع عدد من رجال السناتو بسفارات خارجية.

([١٦٢]) Priscus, p.247.

([١٦٣]) Priscus, p.225.

([١٦٤]) Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, p.339; trans. Hamilton, p.125.

([١٦٥]) يروى بريسكوس أن ماكسيمينوس أرسل بريسكوس عدة مرات كرسول يحمل الهدايا إلي كبار قادة الهون وزوجة آتيلا لحثهم على إقناع الأخير بتسوية الخلافات مع البيزنطيين والموافقة على عقد الصلح. ويبدو من خلال

اختيار إبيجينيس بقوله: "حيث كان يحظى بشهرة كبيرة في الحكمة".(١٦٦) وأخيرا قد تقدم هذه الشواهد مؤشرا يمكن من خلاله تفسير سبب خروج المؤرخ أوليمبيودوروس في السفارة إلي الهون في عام ٤١٢م.(١٦٧) وسر موافقة أريوبيندوس على طلب الفيلسوف الطبيب أوارنيوس بمصاحبته في سفارته إلي فارس، ومشاركة خطيب القسطنطينية قونسطانطيانوس كمبعوث مساعد للقائد ماركيلاس Marcellas، ابن شقيقة جستنيان، في سفارته إلي الفرس في عام ٥٤٤م(١٦٨)، فضلا عن خروج بطرس البطريق –الذي وصفه بروكوبيوس بـ "الخطيب"– كمساعد لرجل السناتو أثناسيوس في سفارته إلي إيطاليا أوائل عام ٥٣٦م.(١٦٩)

وفي المقابل لم تقدم لنا هذه المصادر أية سمات شخصية استندت إليها السلطات البيزنطية كمعيار عند اختيارها لهؤلاء المبعوثين الرئيسيين؛ فأميانوس ماركيللينوس لم يذكر شيئا عن بروسبير سوى وظيفته كقومس للشئون العسكرية، ولم يشر بريسكوس إلي أية مؤهلات لماكسيمينوس سوى أنه "ذو نسب عريق ومؤتمن من الإمبراطور في الأمور بالغة الاهمية"(١٧٠)، كما لم يسجل عن بلينثاس القوطي شيئا باستثناء كونه قائدا "اسكيثيا" وقنصلا(١٧١). وقد يدفع ذلك كله إلى القول بأن الوظيفة والثقة والحظوة الإمبراطورية في هذه الحالات كانت محددات أكثر أهمية من القدرات البلاغية والخطابية عند اختيار المبعوثين الرئيسيين، خاصة في ظل إمكانية تعويض الأخيرين لهذا النقص باختيار مبعوثين مساعدين ممن تتوافر فيهم هذه القدرات.

وثمة رأي لبلوكلي قد يحتاج إلى مناقشة، إذ يرى بأن وجود المبعوثين المساعدين في السفارات "كان مظهرا أكثر بروزا في القرنين الرابع والخامس عنه في القرن السادس الذي شهد اتجاها متزايدا نحو الدبلوماسية الاحترافية"(١٧٢)؛ فرغم وجاهة هذا الرأي الظاهرية إلا أنه من الصعب اثباته في ظل الافتقار إلى شواهد مصدرية تدعمه، خاصة وأن المتاح من هذه الشواهد

روايته أنه كان الوسيط الرئيسي في مفاوضات ماكسيمينوس مع القائد الهوني أونيجيزيوس Onegesius. Priscus, pp.273-275, 283

(١٦٦) Priscus, p.225.

(١٦٧) Olympiodorus, p.183; PLRE, II, pp.798-799.

(١٦٨) Procopius, *History of Wars*, I, pp. 515-517. يسجل بروكوبيوس عن سبب اختيار الخطيبين قونسطانطيوس وسرجيوس للذهاب في سفارة إلى الفرس في عام ٥٤٤م "أنهما كانا متحدثين متدربين وماهرين على نحو استثنائي". Procopius, *History of Wars*, I, p.475.

(١٦٩) Procopius, *History of Wars*, III, pp.55-57; IV, p.63.

(١٧٠) Priscus, p.247.

(١٧١) Priscus, p.225.

(١٧٢) Blockley, *Foregin Policy*, p.156.

يشير إلى غياب المبعوث المساعد عن كثير من سفارات القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وإن كان توقع وجوده في بعضها أمرا محتملا. كذلك يمكن رصد عدد من السفارات التي شارك فيها مبعوثون مساعدون خلال القرن السادس. ويبدو أن التطور الذي يمكن تبينه في القرن السادس –والذي يتماشي جزئيا مع رأي بلوكلي فيما يتعلق بمسألة الاحترافية– أن عددا من المبعوثين بدأوا نشاطهم الدبلوماسي كمبعوثين مساعدين ثم صاروا فيما بعد مبعوثين رئيسيين؛ فروفينوس بدأ مساعدا لهيباتيوس في سفارته إلي الفرس في عام ٥٢٥م(١٧٣) ولهيرموجينيس في سفارته إلي الفرس في مارس عام ٥٣٠م(١٧٤)، ثم اضطلع بسفارته الأولى كمبعوث رئيسي، وبرفقته ألكسندر كمساعد، إلي الفرس في منتصف ذات العام.(١٧٥) وألكسندر نفسه صار مبعوثا رئيسيا في سفارته إلي إيطاليا في عام ٥٣٤م.(١٧٦) كذلك عمل بطرس البطريق كمبعوث مساعد لأثناسيوس، شقيق ألكسندر، في سفارته إلي إيطاليا عام ٥٣٦م، قبل أن يصير مبعوثا رئيسيا في سفارتيه إلي الفرس في عام ٥٥٠م و٥٦١م.(١٧٧) وكان المدعو تيموثيوس Timotheus مساعدا ليوحنا ابن شقيقة جستنيان في سفارته إلي الفرس في عام ٥٦٧م(١٧٨)، ثم أصبح مبعوثا رئيسيا لسفارته إلي الفرس في ربيع ذات السنة.(١٧٩) وأخيرا بدأ الطبيب زكريا نشاطه الدبلوماسي –كما مر بنا– كمبعوث مساعد قبل أن يصير مبعوثا رئيسيا.(١٨٠)

---

(١٧٣) Procopius, *History of Wars*, I, pp.91-95.

(١٧٤) Malalas, *Chronicle*, p.265; Theophanes, *Chronicle*, p.274.

(١٧٥) Malalas, *Chronicle*, p.267; Procopius, *History of Wars*, I, pp.105, 141-145.

(١٧٦) Procopius, *History of Wars*, III, pp.27-29.

(١٧٧) Procopius, *History of Wars*, V, p.149; ; Menander, *History*, p.55; Theophanes, *Chronicle*, p.351, 352 n.22; *PLRE*, IIIa, p.467.

(١٧٨) Menander, *History*, p.97.

(١٧٩) Menander, *History*, p.105.

(١٨٠) رغم أنه يمكن رصد حالة أناتوليوس من عصر ثيودوسيوس الثاني الذي عمل كمبعوث مساعد لرئيس الدواوين هيليون في سفارته إلي الفرس في عام ٤٢٢م (Theophanes, *Chronicle*, p.136) ثم اضطلع بعدد من السفارات بدءً من نفس السنة كمبعوث رئيسي، إلا أن مرافقة رئيس الدواوين فيما يبدو كانت حالة استثنائية، ففي عصر جستنيان كان روفينوس مبعوثا رئيسيا في ثلاث سفارات إلي الفرس في عام ٥٣١م Malalas, p.272 ، إلا أنه تحول إلى مبعوث مساعد بمجرد مشاركته في سفارتين إلي الفرس ترأسهما رئيس الدواوين هيرموجينيس في أواخر عام ٥٣١م وسبتمبر ٥٣٢م. Procopius, *History of Wars*, I, p.203; Marcellinus, *Chronicle*, p.44; Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, pp.231-232. وليس من الواضح هنا هل المسألة تتعلق بالهيراركية الوظيفية أم بالاختصاص أم بمدى القرب من السلطة الإمبراطورية، لكن بأية حال يمكن رصد حالتين لا تتعلقان برئيس الدواوين، الأولى في عهد جستنيان وتشي بأن الحظوة والوظيفة كانت عاملا في

ومثل هذه الشواهد ربما توحى بأن هناك اتجاها متزايدا بدأ مع القرن السادس نحو تدريب المبعوثين المساعدين ونقل الخبرات الدبلوماسية إليهم بغية تأهيلهم للاضطلاع بالسفارات كمبعوثين رئيسيين. وقد يصطدم هذا الرأي بملاحظة أن القرن السادس شهد أكبر نسبة من المبعوثين الرئيسيين الذين اضطلعوا بسفارات خارجية عن طريق المحاباة والحظوة الإمبراطورية؛ ففي الوقت الذي لم يشهد القرن الرابع إلا حالة واحدة فقط لمبعوث مساعد ينتسب إلي العائلة الإمبراطورية عن طريق المصاهرة([181])، شهد القرن السادس خمس حالات لمبعوثين من أبناء أشقاء الأباطرة، إلا أن احتمالية وجود "المحاباة" في ست حالات فقط عبر العصر الباكر بأكمله، حتى وإن انتمت خمس حالات منها إلي القرن السادس –الذي شهد أكثر من ستين سفارة–، لا يعد مؤشرا على أهميتها أو كونها مثلت ظاهرة خلال هذا العصر، خاصة مع إمكانية اعتبارها أيضا نوع من الثقة الإمبراطورية، هذا مع ملاحظة أن أكثر هؤلاء المبعوثين ربما خرجوا بحكم وظائفهم العسكرية والمدنية، كما أن بعضهم شارك في السفارات كمبعوث مساعد والبعض الأخر رافقه مبعوث مساعد.([182]) ولعل ما يدعم الرأي بأن القرن السادس شهد اتجاها متزايدا

ترتيب هيراركية المبعوثين؛ فالخطيب قونسطانطيانوس الذي خرج كمبعوث رئيسي في سفارة إلى الفرس في عام ٥٤٤م، صار مساعدا للقائد ماركيلاس، ابن شقيقة الإمبراطور جستنيان، في سفارة أخرى خرجت إلى الفرس في ذات السنة. Procopius, *History of Wars*, I, pp.475, 497,501, 515-517. أما الحالة الثانية فتنتمي إلي عهد جوفيان توحي بأن الهيراركية الوظيفية لم تكن عاملا حاسما في تحديد مثيلتها الدبلوماسية؛ فأرينثايوس اضطلع بسفارة إلى الفرس في عام ٣٦٣م عندما كان يشغل وظيفة قومس الشئون العسكرية وكان معه الوالي البرايتوري للشرق سالوتيوس كمساعد. Ammianus Marcellinus, trans. Yonge, p.393; trans. Hamilton, p.303; Zosimus, *New History*, p.66 وفي عهد فالنز، عندما صار أرينثايوس قائدا للمشاة، ذهب كمبعوث مساعد لفيكتور قائد الفرسان في سفارة إلي القوط في عام ٣٦٩م. Ammianus Marcellinus, trans. Hamilton, pp.336, 337; trans. Yonge, pp.445, 446. وربما كون فيكتور حمل لقب القنصلية وقتذاك هو السبب في رئاسته للسفارة.

([181]) هي حالة النوتاريوس بروكوبيوس، أحد أقرباء الإمبراطور جوليان ربما من ناحية أمه، الذي خرج كمبعوث مساعد في سفارة ليكيليانوس، قومس الشئون العسكرية إلي الفرس في عام ٣٥٩م. Ammianus Marcellinus, trans. Rolfe, I, pp.403, 445; trans. Yonge, p.159; *PLRE*, I, pp.517-18, 742-743.

([182]) تعود حالتان من هذه الحالات إلي عهد الإمبراطور جستين؛ ففي ٥٢٦م خرج ابن شقيقة الإمبراطور الراحل أناستاسيوس المدعو بروبوس Probus، الذي كان يشغل وظيفة القائد العسكري *magister militum*، في سفارة إلي الهون. Procopius, *History of Wars*, I, p.97; *PLRE*, II, pp.912-913. وفي عام ٥٢٧م خرج قائد الشرق هيباتيوس Hypatius، وابن شقيقة أناستاسيوس أيضا، في سفارة إلى الفرس، صاحبه فيها الرجل المسن فاريسمانيس Pharesmanes، قائد الشرق السابق (٥٠٥–٥٠٦م). Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, p.206;. أما الحالة الثالثة فتعود إلى عهد جستنيان، عندما خرج ابن شقيقته ماركيلاس Marcellas، القائد على

نحو نقل الخبرة وتدريب المبعوثين –أو كما أسماه بلوكلي "الاحترافية"– كون النص الوحيد المتبقي من العصر الباكر، والذي يتناول صفات ومؤهلات المبعوثين بشكل مباشر، يعود إلي هذا القرن، وجاء فيه: "إن أي مبعوث يُختبر قبل أن يُرسل في سفارة؛ فتُقدم له قائمة من الموضوعات، ويُسأل عن كيفية معالجته لكل منها في ظل ما يمكن افتراضه من المواقف والظروف المختلفة".(١٨٣)

وعلى ذلك يمكن القول بأنه على الرغم من استمرار أهمية معيار القدرات البلاغية والخطابية في اختيار المبعوث الدبلوماسي، وهو المستمد من الموروث اليوناني–الروماني(١٨٤)، الذي ظل صداه يتردد بقوة في كتابات القرن الرابع ذات الطابع الكلاسيكي(١٨٥)، فإنه لم يكن

الجبهة الشرقية، بسفارة إلى الفرس في عام ٥٤٤م، رافقه فيها الخطيب قونسطانطيانوس. Procopius, *History of Wars*, I, p.517. وفي الحالة الرابعة كلف جستين الثاني ابن شقيقة جستنيان المدعو يوحنا، والذي كان موظفا للشئون المالية، بالخروج إلي فارس في عام ٥٦٧م. Menander, *History*, p.97. وأخيرا خرج يوحنا وبطرس، من عائلة الإمبراطو أناستاسيوس، كمبعوثين مساعدين لثيودور ابن بطرس البطريق في سفارته إلي الفرس في عام ٥٧٦م. Menander, *History*, pp.181-192; Theophylact Simocatta, *History*, p.96; John of Ephesus, *Ecclesiastical History*, pp.293, 403.

(١٨٣) "The Anonymous Byzantine Treatises on Strategy", in: *Three Byzantine Military Treatises*, ed. & trans. G. T. Dennis, Washington, D.C., 1985, pp.1-136, esp.127.

(١٨٤) كان الفلاسفة وجها مألوفا في سفارات العالمين اليوناني والروماني، خاصة تلك المتبادلة بين المدن. لمزيد من التفاصيل انظر الدراسة المتخصصة: Lyons, E. Z., *Hellenic Philosophers as Ambassadors to the Roman Empire: Performance, Parrhesia and Power*, Ph. D. Thesis, The Univeristy of Michigan, 2011. ويبدو أن هذا العرف ظل سائدا حتى أوائل العصر الباكر، إذ تشير هذه الدراسة إلي الفيلسوف والخطيب ثيميستوس Themistius، الذي حظي برعاية إمبراطورية منذ عهد قسطنطيوس إلى عهد ثيودوسيوس الأول، بلقب "مبعوث الإمبراطور" الذي لعب دورا مهما كوسيط بين الوثنيين والأباطرة. Ibid, pp.161ff. كذلك عندما اعتلى جوليان العرش في عام ٣٦١م، جاءته السفارات من كل حدب وصوب، وكان يونابيوس "معلم البلاغة" مبعوثا لمواطني ليديا Lydia. Eunapius, *Testimonia*, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.2-150, esp.35.

(١٨٥) منها على سبيل المثال ما ذكره الإمبراطور جوليان عن ديوجينيس Diogenes ولامبرياس Lamprias "الفيلسوفان اللذان يبزان غيرهما في زماننا، والمتحمسان لبذل أقصى جهد لخدمة إمبراطوريتهما، سواء بالمساعدة في شئون الحكومة، أم بالذهاب في السفارات، أم بالجود من مواردهما الخاصة". Julian, "On Behalf of the Argives", in: *The Works of the Emperor Julian*, trans. W.C. Wright, 3 vols, The Loeb Classical Library, London, 1913-1923, I, pp.93-96. كذلك ينصح الخطيب الأنطاكي الشهير ليبانيوس بأنه عندما ينشب النزاع بين المدن، ويستدعي الأمر تبادل السفارات، فإن الشخص "الذي يجب اختياره ليس القوي أو الثري أو الذي يبز الأخرين في جمال الخلقة، بل الشخص المتفوق في التعليم والبلاغة".

المعيار الأبرز أو الوحيد، خاصة في اختيار المبعوثين الرئيسيين؛ فهنا لا يمكن مقارنته بثقل معياري الخبرة والتخصص الوظيفي الذي بدأ في الظهور منذ النصف الأول من القرن الخامس وتزايدت أهميته مع اقترانها بعنصر التدريب خلال القرن السادس.(١٨٦) كذلك يمكن ملاحظة أن مشاركة فئات كالخطباء والفلاسفة والأطباء والمؤرخين في السفارات الخارجية ظلت في الغالب مقترنة بتلك التي اضطلع بها قادة عسكريون ممن افتقروا على الأرجح إلي هذه القدرات، بينما تكاد تغيب عن السفارات التي اضطلع بها أو شارك فيها مبعوثون من الموظفين المدنيين، خاصة إذا ما تعلق الأمر برئيس الدواوين أو أحد معاونيه، بحكم ارتباط وظائفهم بالخلفية التعليمية لشاغليها.(١٨٧) ولعل هذه الفرضية تفسر رواية يونابيوس –سالفة الذكر– عن اعتياد مرافقة الموظفين المدنيين للقادة العسكريين في المهام الدبلوماسية(١٨٨)، كما قد تتأكد بما سجلته الإشارات المصدرية عن الخلفية التعليمية التي حظي بها بالفعل مبعوثون رئيسيون من شاغلي الوظائف المدنية؛ فكدرينوس Cedrenus يصف السلينتاريوس بلاجيوس، مبعوث زينون إلي ثيودريك سترابو في عام ٤٧٩م، بالكاتب الذي كُلف بكتابة تاريخ نثري لروما من أوغسطس إلي زمنه.(١٨٩) ويذكر ثيوفانيس عن هيرموجينيس أنه "كان رجلا متعلما"(١٩٠). ويسجل يوحنا

Libanius's Progymnasmata: Model Exercises in Greek Prose Composition and Rhetoric, trans. C.A. Gibson, Atlanta, 2008, p.69.

(١٨٦) من الملاحظ هنا أن بعض الباحثين المحدثين لم يميزوا البعد الزمني لتطور معايير الخبرة والتدريب أو الأهمية النسبية للقدرات البلاغية في المبعوثين الرئيسيين، وإنما طرحوا آراء عامة تنسحب على العصر الباكر برمته والمبعوثين باختلاف فئاتهم؛ فوفقا لمقولة ماثيسين: "لا شك في أن معيار الخبرة في المفاوضات كان حاضرا عند اختيار الشخص للقيام بسفارة، فقد كان من الشائع تماما إرسال الشخص ذو القدرات البلاغية والكفاءة والتدريب الخاص". Mathisen, "Patrici", pp.227-228. ويقول مايكل ويتباي: "ظل الاستعراض البلاغي مظهرا مهما للدبلوماسية الرومانية المتأخرة، وربما كان يتم اختيار المبعوثين لتعليمهم بقدر اختيارهم لمكانتهم وخبرتهم واتصالاتهم السابقة". Whitby, "Byzantine Diplomacy", p.132.

(١٨٧) قد يمثل هيليون رئيس الدواوين في عهد ثيودوسيوس الثاني حالة استثنائية، حيث يسجل سقراطيس في سياق حديثه عن سفارته إلي فارس في عام ٤١٩م، أنه اختار ماكسيمين مساعد القائد العسكري للشرق كمبعوث مساعد، ويصفه بـ "الرجل الفصيح" الذي أرسله هيليون قبل بلوغه البلاط الفارسي لتمهيد الطريق للمفاوضات الرسمية. لكن علينا ملاحظة أن هيليون الذي اضطلع بثلاث سفارات أخرى بعد هذه السفارة (خلال الفترة ٤٢٢–٤٢٥م)، خرج في اثنتين منها منفردا، ربما لم يكن بحاجة ماسة إلى بلاغة ماكسيمين بقدر حاجته إلى جس نبض الملك الفارسي ومعرفة نواياه. Socrates, *History of Church*, p.354.

(١٨٨) Eunapius, *Lives of Sophists*, p.395.

(١٨٩) Georgius Cedrenus, *Historiarum Compendium*, *CSHB*, ed. I. Bekker, Bonn, 1838, I, pp.621-622. كذلك تلمح مصادر الفترة إلى ثقافة عدد من المبعوثين وإلمامهم بالتاريخ على وجه التحديد، إذ يذكر بروكوبيوس عن رئيس الدواوين يوسيبيوس، الذي اضطلع بسفارة إلى الفرس ثم رافقه في حملته على الهون

الليدي عن بطرس البطريق أنه "المفكر العظيم في كل الأمور والمعلم الراسخ في التاريخ العام...كان متعلما مكرسا نفسه على الدوام لكتبه، عارفا بالقانون، الذي تربى عليه منذ نعومه أظفاره... هادئ ومهذب لكن ليس من السهل تطويعه لما هو مخالف للقانون، يمضي ليله بين كتبه ونهاره في العمل"(١٩١)، بينما كتب عنه ميناندر أنه "متعلم تعليما راقيا، خاصة في القانون".(١٩٢) وفي رسالة الملك ثيوداهاد الى جستنيان حوالى ٥٣٥م وُصف بطرس البطريق بالرجل الأكثر فصاحة.(١٩٣) وإذا كانت هذه الصفات أمرا طبيعيا ومتوقعا في مبعوثين شغلا منصب رئيس الدواوين، فإن ثمة صفات مماثلة نُعت بها مبعوثون أخرون؛ فقد وصف ايفاجريوس البطريق تراجان، الكوايستور وعضو السناتو، بأنه رجل فصيح مُكرم من الجميع لفطنته وعمره المديد.(١٩٤)

ولعل ما يدعم كون معياري الخبرة والتخصص في اختيار المبعوثين الرئيسيين أكثر أهمية من القدرات البلاغية(١٩٥)، التي أمكن تعويضها بمشاركة المبعوثين المساعدين، أن مصادر الفترة كانت أكثر اهتماما بقائمة أخرى من السمات الشخصية كالحصافة(١٩٦) والذكاء(١٩٧) والاعتدال والتدين(١٩٨)؛ فالعمل المسمى "استراتيجية" لكاتب القرن السادس

البيض خلال الفترة (٤٧٦–٤٨٤م)، أن قادة الملك التمسوا وساطته لنصح الملك بتجنب أحد الطرق الخطرة؛ فراح الأخير يقص عليه قصة تاريخية عن أحد الملوك القدماء. Procopius, *History of Wars*, I, pp.15-17

(١٩٠) Theophanes, *Chronicle*, p.270.

(١٩١) John Lydus, *Magistarcies*, .123.

(١٩٢) Menander, *History*, p.55.

(١٩٣) Cassiodorus, *Variae*, p.139.

(١٩٤) Evagrius, *Ecclesiastical History*, p.271.

(١٩٥) يقدم ميناندر إشارة مهمة قد تدعم هذه الفرضية، وتتمثل في الحوار الذي سجله بين الملك الفارسي والبطريق يوحنا، ابن اخت جستنيان وموظف الشئون المالية الذي أُرسل إلي الفرس في عام ٥٦٧م، وجاء فيه على لسان يوحنا: "إن بطرس البطريق، المبعوث قبلنا، والذي جاءكم لتسوية تفاصيل الصلح، كان قادرا عبر فصاحته ومهارته في الإقناع أن يفند الاتهامات التي ساقها السراقنة ضدنا، وكذلك بقية الأمور محل الخلاف، إلا أنني لست مُدربا على البلاغة والإقناع...". Menander, *History*, p.101.

(١٩٦) يصف يوحنا الليدي بالاديوس رئيس الدواوين في عهد قسطنطين بأنه "الرجل الحصيف". John Lydus, *Magistarcies*, p.121

(١٩٧) يذكر بروكوبيوس عن أناستاسيوس، مواطن حصن دارا الحدودي الذي حمل رسالة جستنيان إلي الملك الفارسي في أواخر ٥٣٩م، أنه "معروف بالحصافة والذكاء". Procopius, *History of Wars*, I, p.291; *PLRE*, IIIa, p.63

المجهول لم يذكر شيئا عن القدرات البلاغية في سياق تناوله لسمات المبعوث المثالي، وإنما شدد –فضلا عن التدريب والاختبار المُشار إليه قبلا– على "التدين" و"السمعة الطيبة" والذكاء" و"الولاء" و"القدرة على تقدير الأمور والمواقف".([١٩٩]) كذلك غالبا ما عكس كتاب العصر الباكر كون إحدى هذه السمات أو بعضها العامل الحاسم في محصلة المهمة الدبلوماسية؛ فمالخوس يشير إلى البطريق سيفيروس Severus، رجل السناتو ومبعوث زينون إلي الوندال في عام ٤٧٦م، بكونه "حظى بشهرة واسعة في الاعتدال والرغبة في العدالة"، ويروي كيف أن جيزريك "دُهش من اعتدال نمط حياته وأُعجب بكلماته لدرجة أنه أبدى استعداده للموافقة على أي شئ يقترحه".([٢٠٠]) ويلمح بروكوبيوس إلي أن ذكاء أناتوليوس وفطنته كانا سببا في إثارة إعجاب الملك الفارسي الذي "أحسن وفادته ومنحه معاهدة الصلح وفق الشروط التي رغبها"([٢٠١])، ورغم أن بركوبيوس أيضا انتقد رئيس الدواوين هيرموجينيس ومساعديه لتملقهم الزائد لكسرى، الذي "لا يليق بمبعوثين رومان"، إلا أنه أقر بأن هذا التملق بدل حال الملك الفارسي فـ "صار لينا، ووافق على عقد صلح مؤبد معهم".([٢٠٢]) وأخيرا لم يشر أي من ثيوفلاكت سميوقطا أو ثيوفانيس إلي دور حرفة الطبيب ثيودوروس في نجاح سفارته إلي الآفار في عام ٥٩٤–٥٩٥م، بل وصفه ثيوفانيس بـ "الذكي الماهر"، وكتب عنه ثيوفلاكت سيموقطا "الرجل الحاذق، الطليق في حديثه والماكر بطبعه، الطبيب بحرفته وإن كان إدراكه للتاريخ عظيما"، وأرجعا لين جانب خان الآفار وقبوله السريع وغير المشروط بالإبقاء على الصلح إلي إعجابه "بذكائه وحصافته" واندهاشه من

---

(١٩٨) يصف زكريا الميتيليني البطريق بروبوس، القائد العسكري وابن شقيقة أناستاسيوس الذي أرسله جستين إلى الهون في عام ٥٢٦م، بالرجل "المتدين والطيب". Zachariah of Mitylene, *Chronicle*, p.330

(١٩٩) جاء في هذا النص: "ينبغي أن يكون المبعوثون الذين نرسلهم ممن يحظون بشهرة في التدين، وألا يكونوا ممن تم إدانتهم بارتكاب أية جريمة. وبالطبع يجب أن يتسموا بالذكاء وبقدر كافي من محبة الوطن بالدرجة التي ترغبهم في المخاطرة بحياتهم، كما يجب أن ينهضوا بسفاراتهم عن طيب خاطر ودون أية ضغوط... يجب أن يتصرفوا بنبل وسخاء بقدر عظمة إمبراطوريتهم، وعليهم ألا يتحدثوا عنها أو عن وطن العدو بما يقلل من شأنهما.. كذلك ينبغي أن يمتلك المبعوثون القدرة على توجيه الأمور وفقا لوجهتها المناسبة، وأن يستثمروا الفرص لكن دون إلحاح أو ضغط لإنجاز ما أُوكل إليهم، باستثناء إن كانوا قد تلقوا أوامر بإنجازها أيا كان الثمن". "Anonymous Byzantine Treatises on Strategy", pp.125-127.

(٢٠٠) Malchus, p.411.

(٢٠١) حدث ذلك عندما ذهب أناتوليوس، القائد العسكري للشرق، بمفرده للتفاوض مع الملك الفارسي في عام ٤٢٢م. وكما يروي بروكوبيوس أنه بمجرد اقترابه من الجيش الفارسي على الحدود ترجل من فوق جواده وتقدم نحو الملك الفارسي، وعندما عرف الملك من قادته هويته وأنه قائد الرومان، سُر من "الاحترام الفائق الذي أبداه المبعوث الروماني"، فنزل هو الأخر عن فرسه وتلقاه كما ذُكر في المتن. Procopius, *History of Wars*, I, p.11.

(٢٠٢) Procopius, *History of Wars*, I, p.203.

"براعته وثقافته".(٢٠٣) ورغم احتمالية كون هذه الشواهد تجسد اتجاها نمطيا ساد كتابات العصر البيزنطي الباكر، كذلك الذي لُوحظ قبلا فيما يتعلق بتعظيم دور المبعوثين الفلاسفة والأطباء في البلاط الفارسي، إلا أنها تعكس على الأقل الصورة السائدة في هذا العصر عن سمات المبعوث المثالي، وهي صورة أثرت دون شك على متخذي القرار عند اختيارهم لمبعوثيهم.

كذلك إذا كانت الشواهد السابقة تشير إلي ما يمكن تحقيقه عبر السمات الشخصية للمبعوث، فهناك إشارات مصدرية أخرى تلمح إلي العواقب الوخيمة التي قد تحل بالمهمة الدبلوماسية أو بمصير المبعوث نفسه نتيجة افتقاره إلي أو حياده عن إحداها؛ فميناندر يروي كيف أن سوء تقدير البطريق يوحنا للموقف خلال مفاوضاته مع الملك الفارسي في عام ٥٦٧م حول سوانيا Suania المتنازع عليها أفقد الإمبراطورية هذه المدينة الاستراتيجية وجعل جستين الثاني "يحتقر يوحنا ويصنفه كشخص غير كفؤ، وبدأ يفكر في كيفية إصلاح هذا الخراب".(٢٠٤) وثمة رواية أخرى لبروكوبيوس عن المبعوث روفينوس –صاحب الخبرة الدبلوماسية الطويلة مع الفرس– الذي كان سوء تقديره سببا في ارتمائه أرضا وتوسله للملك الفارسي.(٢٠٥) وأخيرا يسجل ثيوفلاكت سيموقطا كيف أن زلات المبعوث يمكن أن تودي به، معلقا على ذلك بقوله: "حديث لم

---

(٢٠٣) Theophylact Simocatta, *History*, p.176; Theophanes, *Chronicle*, p.397.

(٢٠٤) كان خطأ يوحنا أنه وافق على اقتراح الملك الفارسي باستفتاء أهل سوانيا على رغبتهم في التبعية للفرس أو للبيزنطيين، حيث جاءت النتيجة في غير صالح الأخيرين، وهو ما علق عليه ميناندر بقوله: "وعندما علم الإمبراطور بأن يوحنا أرسل للسوانيين، وأن الأخيرين رفضوا التبعية للجانب الروماني، اشتد غضبه، ورأى بأن فشل يوحنا في مهمته ناتجا عن تصرفه ضد مصلحة الدولة، وأنه لم يكن جديرا به أن يفعل ذلك دون أمر إمبراطوري، لأنه بتصرفه هذا منح الفرس الفرصة لشرعنة تصرفهم الجائر والزعم بأن السوانيين أنفسهم يلفظون الإمبراطورية الرومانية". Menander, *History*, pp.103-105.

(٢٠٥) حدث ذلك في أواخر ٥٣١م عندما سلم روفينوس الفرس ما كان يحمله من الذهب نظير الصلح، إلا أن أمرا إمبراطوريا وصله بالانسحاب الفوري دون تسليم الذهب، وهنا يسجل بروكوبيوس: "فشعر روفينوس بالندم على تسرعه، وارتمى على الأرض أمام الملك الفارسي متوسلا إليه برد المال، فأمره كسرى بالوقوف ورد إليه ماله.. وهنا بدأ المبعوثون المرافقون ينظرون لروفينوس بعين الشك، ووشوا به إلي الإمبراطور داعمين اتهامهم بتساهل كسرى الشديد معه في كل ما طلبه. ومع ذلك لم يظهر الإمبراطور أي غضب أو استياء. وبعد فترة قصيرة أرسل روفينوس نفسه مع هيرموجينيس إلى بلاط كسرى". Procopius, *History of Wars*, I, p.207. وثمة حالة مشابهة، لكنها هذه المرة تخص ميبود Mebod مبعوث فارس إلي بلاط جستين الثاني، حيث أدى غروره وحماقته إلى انفجار غضب الإمبراطور، مما اضطر المبعوث إلى الارتماء أرضا معتذرا ومبررا حمقه، فقبل الإمبراطور اعتذاره قائلا: "يبدو أن مترجمنا قد أخطأ الترجمة، وإن كنت لا تقصد ما قلته فقد برأت نفسك من الجرم". Menander, *History*, p.109

ينمق بحصافة قد يُنتج أخطر العواقب لقائله".(٢٠٦) والواقع أن إشارات كهذه، رغم كونها قد تثير الشك في مصداقية الصورة المثالية التي رُسمت عن أثر السمات الشخصية للمبعوثين، تؤكد ما أُفترض قبلا من تصورات سادت في العصر البيزنطي الباكر عن أهمية هذه السمات.(٢٠٧)

وفي النهاية، بقيت فئة أخيرة يمكن رصد مشاركتها في عدد محدود من سفارات هذا العصر، وهي فئة رجال الدين. ورغم أن ماثيسين ضمن "الأساقفة" في عنوان بحثه المنشور في عام ٢٠١٢م، وعلق على دورهم الدبلوماسي بقوله: "كان هناك اتجاه من الحكومة لاستخدام الأساقفة كمبعوثين، لكونهم يحظون بالخبرة بحكم وظيفتهم كوسطاء"، إلا أنه لم يدلل على ذلك إلا بمثلين فقط، أحدهما شرقي والأخر غربي.(٢٠٨) وهنا قد تبدو مشكلة الاستدلال من خلال الجمع بين شطري الإمبراطورية الشرقي والغربي عند دراسة المبعوثين الأساقفة –الأمر الذي قد ينسحب على دراسة المبعوثين بعامة–؛ ففي الوقت الذي شهد الغرب دورا بارزا لرجال الدين في العمل الدبلوماسي بدءً من الشمامسة إلي حبر روما ذاته(٢٠٩)، لم يشهد النصف الشرقي مثل

(٢٠٦) كان ذلك في أواخر عهد موريس (٥٨٢–٦٠٢م) Maurice عندما كان جورج، الوالي البرايتوري للشرق، يقدم له تقريرا عن سفارته إلي الفرس، حيث أخطأ انتقاء الكلمات ونقل عن لسان الملك الفارسي قوله: "اعتبارا لسمو المبعوث، أضع نهاية للحرب"، الأمر الذي أغضب الإمبراطور، فكان "نجاح السفارة نقمة على جورج". Theophylact Simocatta, .*History*, p.210

(٢٠٧) يرى مايكل ويتباي أن خطورة المحادثات الشفهية في الدبلوماسية البيزنطية الباكرة كانت تتطلب من المبعوثين أن يكونوا دوما في حالة من الحذر واليقظة الدائمين، ويربط ذلك باستبدال هذه المحادثات بالخطابات في العصر البيزنطي الأوسط، ويرى بأن ذلك سمح للحكام بتحقيق مزيد من التحكم في تطورات العملية التفاوضية. .Whitby, "Byzantine Diplomacy", p.132. وثمة دراسة حديثة تناولت المخاطر التي قد يتعرض لها المبعوثون خلال عصر جستنيان، سواء بسبب افتقارهم إلى هذه السمات أم لأسباب أخرى تتعلق بظروف السفارة والجهة المُوفدة إليها. Delgado, A.F., "Capitis Deminutio: Exile, Banishment and Punishments to Ambassadors during Justinian's Era", *Porphyra. Confronti su Bisanzio, I, a cura di Elodie Guilhem: Rencontres annuelles des doctorants en études byzantines*, 2012, pp.40-61.

(٢٠٨) Mathisen, "Patrici", p.229.

(٢٠٩) في هذا السياق يصعب حصر السفارات الغربية التي شارك فيها رجال الدين نظرا لكثرتها، لكن منها على سبيل المثال: سفارة البابا ليو الأول (٤٤٠–٤٦١م) Leo I إلي آتيلا لإنقاذ إيطاليا من خطر هجوم الهون *The Book of the Popes: Liber Pontificalis*, trans. L.R. Loomis, New York, 1916, I, p.101. وسفارة البابا يوحنا الأول (٥٢٣–٥٢٦م) John I التي أرسلها ثيودريك من رافنا إلى القسطنطينية إلي الإمبراطور جستين الأول. *Liber Ponificalis*, p.132. وسفارة البابا أجابيتوس (٥٣٥–٥٣٦م) Agapitus التي أرسلها ثيوداهاد إلى جستنيان لتهدئة غضب الأخير بعد مقتل أمالاسونثا. *Liber Pontificalis*, I, p.144. وسفارة الشماس فيجيليوس Vigillius إلى القسطنطينية أثناء بابوية سيلفيريوس (٥٣٦–٥٣٧م) Silverius. *Liber*

هذا الدور، حيث لم تسجل المصادر مثلا أية إشارة عن مشاركة بطريرك القسطنطينية في عمل من هذا النوع.

ويشير ما تتيحه هذه المصادر من شواهد إلي أن دور الأساقفة خلال القرن الرابع وأوائل القرن الخامس انحصر في الاضطلاع بإرساليات تبشيرية، برزت فيها أهمية الخلفية العرقية والجغرافية للمبعوث، وهو ما يمكن رؤيته بوضوح في سفارة لأحد الأساقفة أرسلها قسطنطين لتنصير الإيبيريين في حوالي عام ٣٢٨م([٢١٠])، وسفارة الأسقف ثيوفيلوس الهندي التي بعثها قسطنطيوس في خمسينيات القرن لتنصير الحميريين([٢١١])، وسفارة ماروثاس أسقف ميسوبوتاميا الذي كلفه ثيودوسيوس الثاني في عام ٤٠٩م بسفارتين متتاليتين للتبشير بين الفرس.([٢١٢])

ويمكن رصد الدور الدبلوماسي –المحدود– الذي اضطلع به أساقفة النصف الشرقي منذ منتصف القرن الخامس؛ فعندما فشل مبعوثو مارقيان في إقناع ملك الوندال جيزريك في عام ٤٥٦م بإطلاق سراح زوجة الإمبراطور الراحل فالنتينيان الثالث وبناته، أُرسل إليه الأسقف الأريوسي بليدا Bleda "أسقف ذات هرطقة جيزريك" لحثه على ذلك.([٢١٣]) وربما تأثر مثل هذا التطور بما شهده الغرب من تنامي لدور رجال الدين في السفارات الدبلوماسية، صحيح أن بيزنطة ظلت توظفهم في السفارات ذات الطابع الديني، إلا أن ثمة شواهد تلمح إلى أن دورهم لم يعد قاصرا عليها، فضلا عن مشاركة المبعوثين العلمانيين لهم في مثل هذا النوع من السفارات؛ فثمة رسالة موجهة من الإمبراطور أناستاسيوس إلى البابا هورميسداس (٥١٤–٥٢٣م) Hormisdas تشي باستياء الأخير من إرسال السلطة الإمبراطورية موظفين مدنيين للتباحث حول تسوية الخلافات الدينية ورأب الشقاق الكنسي في عام ٥١٦م.([٢١٤]) كذلك تظهر ثنائية

Ponificalis, I, p.149. وعن دور رجال الدين في الدبلوماسية الغربية، انظر الفصل الرابع من دراسة أندرو جيليت المعنون "القديسون كمبعوثين": Gillett, *Envoys*, pp.113-171.

([٢١٠]) Theodoret of Cyrus, *History of the Church*, p.73. كانت هذه الإرسالية استجابة لطلب نقلته سفارة من قبل ملك إيبيريا.

([٢١١]) Philostorgius, *Church History*, pp.40-43.

([٢١٢]) Socrates, *History of Church*, pp.340-342.

([٢١٣]) Priscus, p.333.

([٢١٤]) هذان المبعوثان هما ثيوبمبوس قومس المشاة والفرسان *comes domesticorum*، وسيفيريانوس Severianus قومس المجلس الإمبراطوري *comes sacri consistori*. "Anastasii impratoris ad Hormisdam", in: *Epistolae Romanorum Pontificum genuinae et quae ad eos scriptae sunt a S. Hilaro usque ad S. Hormisdam*, ed. A. Thiel, tomus I (461-523 AD), Brunsbergae, 1868, ep. XI, pp.764-765.

الدور الدبلوماسي لرجال الدين في سفارة هيباتيوس Hypatius أسقف إفسوس وديميتريوس Demetrius أسقف فيليبي Philippi بمقدونيا، التي أرسلها جستنيان إلي الغرب في عام ٥٢٧م؛ ففي الوقت الذي كُلف الأول بالتشاور مع البابوية بشأن الخلاف حول جوهر العقيدة، اضطلع الثاني بالتفاوض مع ثيوداهاد حول إجراءات وضع إيطاليا تحت الوصاية البيزنطية.(٢١٥) وبأي حال، يصعب مقارنة مشاركة رجال الدين في الدبلوماسية الغربية بنظيرتها الشرقية، إذ تظل نسبة الأخيرة محدودة للغاية بالنظر إلى عدد السفارات التي خرجت من بيزنطة خلال عصرها الباكر.

الخاتمة

لا شك في أن نيتشايفا كانت محقة فيما خلصت إليه من صعوبة وتعقيد البحث في مشكلة اختيار المبعوثين خلال العصر البيزنطي الباكر. ويبدو أن المعضلة الأساسية تكمن في طبيعة المادة المصدرية التي لا تقدم في الغالب سوى إشارات عن سفارات أُرسلت إلى هذه الوجهة أو تلك دون أن تكشف عن هوية المبعوثين المشاركين فيها، كما أنها تكتفي في أحيان كثيرة بتسجيل اسم المبعوث أو وظيفته دون أصله العرقي والجغرافي، فضلا عن مرتبته الوظيفية والتشريفية ووجهة سفارته، الأمر الذي يقلل غالبا من قيمة هذه الإشارات في الاستدلال. ولا شك في أن هذه الطبيعة تفرض توظيف ما هو متاح من شواهد مع الوضع في الاعتبار مسبقا بأن ما يمكن بلوغه هو فرضيات غير مؤكدة. وهنا تأتي أهمية المادة التي أتاحها الجهد الضخم الذي بذله جامعو "بروسبوجرافيا الإمبراطورية الرومانية المتأخرة" لحشد ما جادت به مصادر الفترة من إشارات عن شخوصها وتنظيمها وفقا للترتيب الأبجدي لأسمائهم والفترة الزمنية التي عاشوا فيها. ولا شك في أن هذه المادة عوضت كثيرا من النقص في المعلومات، خاصة فيما يتعلق بالخلفيات الوظيفية للمبعوثين وسنوات شغلهم لوظائفهم أو حصولهم على ألقاب تشريفية.

وتكشف المادة المصدرية المتاحة عن نطاق واسع من المبعوثين ذوي المنازل التشريفية والخلفيات الوظيفية المتنوعة والمختلفة الرتب، فضلا عن بعض الإشارات إلى تنوع مهاراتهم وخبراتهم ومستوياتهم التعليمية، وهو نطاق بلا شك يدعم ما يذهب إليه الباحثون المحدثون من

---

(٢١٥) Procopius, III, pp.25-27, 33; *Liber Pontificalis*, I, p.143. كذلك أرسل موريس أسقف خلقدونية في مهمة خاصة غير محددة إلى الفرس بعد عام ٥٩٥م. Theophylact Simocatta, *History*, p.154.

كونه شاهد على "غياب هيئة وظيفية محترفة ومؤهلة من الدبلوماسيين"([٢١٦])، ويوفر من ناحية أخرى مشروعية البحث في كيفية اختيارهم. غير أن بحث بهذه الشاكلة دون مسح لمصادر العصر وجدولة لسفاراته ومبعوثيه زمنيا قد لا ينتج إلا تصورات عامة تنسحب على العصر بأسره دون تمييز لتطور أهمية كل معيار أو تقييم اختلاف وزنه النسبي من فترة لأخرى.

ويفترض البحث الراهن –بخلاف ما ذهب إليه ماثيسين–بأن المنزلة التشريفية ربما كانت مهمة في رفع مكانة المبعوث لكنها لم تكن معيارا أساسيا في اختياره؛ إذ أن هناك عددا من المبعوثين اضطلعوا بمهام دبلوماسية مهمة ولجهات خارجية مختلفة دون لقب تشريفي، وكان حصولهم على اللقب لاحقا على هذه المهام، ربما كمكافأة لهم أو لرفع مكانتهم قبل تكليفهم بمهام أخرى. وهنا تكمن إحدى إشكاليات مقاربة ماثيسين للقضية؛ فقد أطلق حكما عاما بأهمية المنزلة التشريفية للمبعوث وسعى إلي التدليل على أن منح المبعوث اللقب التشريفي كان يتم عادة قبل اضطلاع المبعوث بسفارته الأولى مباشرة، وأعد قائمة أسماها "البطارقة المبعوثين" اعتمد فيها بشكل أساسي على المادة البروسوبوجرافية الواردة في *PLRE*، تضمنت أسماء شككت البروسوبوجرافية ذاتها في حصول أصحابها على لقب البطريقية، أو على الأقل في أسبقية تاريخه على سفاراتهم، وأخرى لم يرد لمنحها اللقب أية إشارة.([٢١٧]) ولعل تضمين هذه

([٢١٦]) Blockely, *Foreign Policy*, p.17; Nechaeva, *Embassies*, p.117. لعل أفضل توصيف لغياب هذه الهيئة الوظيفية قول أ.د.لي: "لم يكن هناك موظفون معنيون بالشئون الخارجية حصرا خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وهو الوضع الذي يُظهر سجل الـ *Notitia Digniatatum* استمراره خلال القرن الرابع. وإذا شئنا الدقة؛ فإن هذه الملاحظة يستمر مفعولها لبقية العصر الروماني المتأخر حتى أوائل القرن السابع، بالقدر الذي يمكن معه القول بأنه لم يكن هناك موظف مسئوليته الوحيدة أو حتى الأساسية تتصل بإدارة الشئون الدبلوماسية". Lee, *information and Frontiers*, p.40.

([٢١٧]) فضلا عن الحالات الثلاث التي عُرض لها في متن البحث (تاوروس وأرينثايوس وسالوتيوس)، تضمنت القائمة اسم سبوراقيوس Sporacius، مبعوث ثيودوسيوس الأول إلي الفرس في حوالي عام ٣٨٣م، والذي لم يشر أي من *PLRE*, I, p.851 أو يوحنا الليدي –وهو مصدر معلوماتنا عن هذه السفارة– إلي حمله اللقب. John Lydus, *Magistarcies*, p.215. وأنثيميوس Anthemius، المبعوث إلي الفرس في عام ٣٨٣م، رغم أنه لم يُمنح اللقب إلا في عام ٤٠٦م. *PLRE*, II, p.95. وستيلخو، المبعوث إلى الفرس في عام ٣٨٣م، الذي لم يرد حصوله على اللقب. *PLRE*, I, pp.853-858. والواقع أن فحص نحو تسعة وثلاثين اسما ينتمون إلى الفترة (٣٥٤–٥٨٧م) أمر ليس بالضروري، خاصة وأن الحالات السابقة هي أول أسماء تطالعنا بها القائمة، وجميعها يشي بمشكلة حقيقية في القائمة بأكملها، خاصة فيما تتضمنه من تواريخ للحصول على اللقب مغايرة تماما لما ورد في *PLRE*، رغم اعتماد ماثيسين عليها كليا. يُضاف إلى هذا أيضا أن القائمة تضم عددا كبيرا من أسماء مبعوثي الشطر الغربي المُوفدين إلى جهات عديدة منها القسطنطينية ذاتها.

القائمة لأسماء مبعوثين كهيليون وأناتوليوس وبطرس البطريق، وجميعهم مُنحوا اللقب بعد اضطلاعهم بالسفارة بفترة ليست بالقليلة، يمثل شاهدا يتصادم مع فرضية ماثيسين.([٢١٨])

وعلى درب ماثيسين سار باحثون أخرون –كبلوكلي ونيتشايفا– مقترحين ما يمكن وصفه بـ "ازدواجية معايير" الدبلوماسية البيزنطية الباكرة في في اختيار نوعية المنزلة التشريفية لمبعوثيها إلى الفرس والهون من جهة وغيرهم من جيرانها من جهة أخرى، واستندوا في ذلك إلي روايات مصدرية يمكن إعادة قراءتها وتفسيرها بطريقة مغايرة تماما، كما أن نوعية ومكانة المبعوثين لا تشي بمثل هذه الإزدواجية. وبدلا من التشديد على المكانة والمنزلة التشريفية، يبدو أن هناك محددات كانت أكثر أهمية، بعضها ساد العصر الباكر بأسرها، والبعض الأخر ظهر وتزايد عبره.

ويأتي في مقدمة هذه المحددات معيار الوظيفة والتخصص الوظيفي، فالسمة العامة التي يمكن ملاحظتها بسهولة طوال العصر الباكر أن ثمة مقاسمة بين شاغلي الوظائف العسكرية والمدنية للعمل الدبلوماسي واكبت التغيرات الإدارية التي بدأت منذ عهد قسطنطين. الأمر الذي يمكن فهمه في ظل منطقية مشاركة القادة العسكريين في مهام دبلوماسية كان أكثرها للتفاوض من أجل إنهاء حالة حرب قائمة وعقد صلح، مع ملاحظة أن عددا ليس بقليل من القادة الذين اضطلعوا بسفارات إلى الفرس كان ميدان عملهم في الجبهة الشرقية. وربما كانت اعتبارات الثقة الإمبراطورية حاضرة بقوة كما هو مفترض في جميع حالات المبعوثين الدبلوماسيين.

وإذا كان ظهور الموظفين المدنيين في سفارات القرن الرابع يأتي في مرتبة تالية للقادة العسكريين، على الأرجح كمساعدين ولتعويض ما قد يفتقر إليه الأخيرون من مهارات إدارية وقدرات بلاغية وخطابية، إلا أن ثمة تغير يمكن رصده مع النصف الأول في القرن الخامس بتنامي دور رئيس الدواوين ومساعديه في الشئون الخارجية والدبلوماسية، وهو ما رأيناه مع نوموس وهيليون ومارتياليس. صحيح أنه يمكن تلمس بدايات هذا الدور منذ عهد قسطنطين، إلا

([٢١٨]) لقد انطلق ماثيسين من قائمته للقول بأن العدد الخاص للبطارقة المبعوثين يرجع إلي أنه كان من السهل على أي إمبراطور أن يمنح اللقب لأي شخص يحتاجه للقيام بالسفارة حال غياب المنزلة الرفيعة وضرورتها، ويضيف: "لم يكن في مقدور أي إمبراطور أن يمنح القنصلية بشكل عشوائي، وإنما كان في استطاعته، إن شاء، أن يصنع البطارقة قبل رحيل السفارة مباشرة". Mathesin, "Patricians", p.41. ورغم أن نيتشايفا تبنت الكثير من دلالات قائمة ماثيسين، فإنها علقت على هذا الرأي بقولها: "إن هذا الاتجاه مهم ومحتمل، إلا أنه من الصعب اثباته". Nechaeva, *Embassies*, p.122.

أن المشاطرة الحقيقية للعمل الدبلوماسي بين أرباب السيف والقلم –أو ما وُصف بـ "تبادل الأدوار"– لم تظهر إلا مع عهد ثيودوسيوس الثاني. ورغم أن النصف الثاني من هذا القرن شهد غياب رئيس الدواوين عن السفارات الخارجية –باستثناء حالة يوسيبيوس– إلا أن معاونيه ظهروا في عدد منها إلى أن عاود رئيس الدواوين الظهور ثانية وبقوة طوال القرن السادس بدءً بكيليريوس وانتهاءً بثيودور ابن بطرس البطريق.

ويبدو أن تنامي دور رئيس الدواوين ومعاونيه في العمل الدبلوماسي قد توازى –وربما خلف أثرا في تزايده– مع معيار كان قد بدأ يطفو على السطح مع سبعينيات القرن الرابع وتزايد خلال النصف الأول من القرن الخامس، وأعني هنا الخبرة المكتسبة عبر الاضطلاع بعدد من السفارات أو من خلال الأصول العرقية والجغرافية. ومع القرن السادس بلغت أهمية هذا المعيار ذروتها بظهور التدريب وتوارث الخبرات والتخصص في العمل الدبلوماسي –أو كما أطلق عليها بلوكلي "الاحترافية"–، وتجلى ذلك في تزايد عدد السفارات التي اضطلع بها المبعوث الواحد إلي نفس الوجهة –كما في حالتي روفينوس وهيرموجينيس–، وبروز عائلات توارثت المهمة الدبلوماسية وتخصصت في العلاقات مع طرف خارجي بعينه، وتدريب ونقل الخبرات للمبعوثين المساعدين، وأخيرا ظهور أول نص من العصر الباكر يتحدث عن سمات المبعوث وتدريبه واختبار إمكاناته قبل خروجه بالسفارة.

وإذا كان الباحثون المحدثون يشددون على أهمية القدرات البلاغية والخطابية للمبعوث، إلا أنها فيما يبدو لم تكن معيارا أساسيا في اختيار المبعوثين الرئيسيين طالما أمكن تعويضها بتوفير آلية تسمح لهؤلاء المبعوثين باختيار معاونيهم، ولعل ذلك يفسر ظهور رجال البلاغة والفلسفة والتاريخ والطب في السفارات الدبلوماسية. وهذه الفرضية بالطبع لا تنكر أهمية البلاغة كمعيار لاختيار المبعوث، خاصة وأننا بصدد عصر ورث كثيرا من التقاليد الكلاسيكية التي تنظر إلى الخطابة والفلسفة بتقدير خاص، لكنها تقترح اتسام إدارة الدبلوماسية البيزنطية الباكرة بقدر من المرونة سمحت بتوفير بديل يتمتع بهذه القدرات حال غيابها في المبعوث الرئيسي، خاصة إذا كان من ذوي الخلفية العسكرية. وفي هذا السياق علينا الإقرار بأن الشواهد المصدرية تشير إلي تمتع عدد من المبعوثين الرئيسيين بهذه القدرات، وأن أخرين من أهل الطب والبلاغة سرعان ما انتقلوا من خانة المبعوثين المساعدين إلى أقرانهم الرئيسيين.

وهناك معياران أساسيان فرضا نفسيهما بقوة على متخذي القرار عند اختيارهم المبعوثين عبر العصر بأسره، وهما الثقة والحظوة الإمبراطورية والسمات الشخصية، وهما معياران بديهيان في أي عصر أو مكان. وهنا ينبغي التمييز بين الثقة والحظوة من جهة

والمحاباة من جهة أخرى؛ ففيما يبدو من الشواهد المصدرية أن شبهة المحاباة تنحصر في عدد قليل من المبعوثين، يمكن تبرير وجودهم بخلفياتهم الوظيفية أو بدورهم في المهمة الدبلوماسية. كذلك ربما كانت السلطة الإمبراطورية تدرك جيدا عاقبة الاعتماد على مبعوثين غير أكفاء، وهو الأمر الذي أظهرته حالة وحيدة جادت بها الشواهد المصدرية.

وأخيرا يمكن القول بأن إدارة الدبلوماسية البيزنطية لم تتمسك بقوالب جامدة، بل اتسمت بقدر كبير من المرونة في تقديراتها عند اختيار المبعوثين الدبلوماسيين، فرغم أن الثقة الإمبراطورية كانت شرطا لازما في اختيار المبعوث الدبلوماسي، إلا أن ذلك لم يكن مؤشرا على انفراد السلطة الإمبراطورية باختيار مبعوثيها ولم يحل دون تعدد آلياته؛ فما بين السناتو ورئيس الدواوين واقتراح كبار الموظفين والمبعوثين الرئيسيين لمساعديهم أو من ترشيح المبعوث لذاته تأرجحت آلية الاختيار، وفي النهاية كان تصديق الإمبراطور على هذا الاختيار أمرا ملزما.

جدول بسفارات العصر البيزنطي الباكر

م	التاريخ	المُرسل	المبعوث	الوظيفة	اللقب	الوجهة	المصدر
١	٢٩٧م	دقلديانوس	Sicorius Probus	magister memoriae	؟	الفرس	Peter the Patrician, frg. 13–14 (trans. Dignas & Winter, p.124).
٢	؟	دقلديانوس وماكسيميانوس	Constantius Chlorus والد قسطنطين	tribunus	؟	الفرس	*Anonymos Life of Constantine*, trans. Beethon, p.109.
٣	؟	قسطنطين	Palladius	magister officiorum	؟	الفرس	John Lydus, p.121.
٤	حوالي ٣٢٨م	قسطنطين	؟	أسقف	؟	الأيبريون Iberians	Theodoret of Cyrus, p.73.
٥	٣٥٠م–	قسطنطيوس	Theophilus the Indian	أسقف	؟	عرب اليمن Himyarites والأحباش Aksumites والهنود	Philostorgius, pp.40–43.
٦	٣٥٨م	قسطنطيوس	Prosper Spectatus ابن عم الخطيب الشهير ليبانيوس Eustathius من قباوقيا	comes rei militaris notarius فيلسوف	؟ ؟ ؟	الفرس	Ammianus Marcellinus, pp, 339, 401.
٧	٣٥٩م	قسطنطيوس	Licillianus Procopius	comes domisticorum notarius	؟ ؟	الفرس	Ammianus Marcellinus, pp. 403, 445.
٨	٣٦٣م	جوفيان	Arinthaeus Salutius	comes rei militaris praefectus praetorio per Orientem (٣٦١–٣٦٧م)	consul ٣٧٢م ؟	الفرس	Ammianus Marcellinus, p.303; Zosimus, p.66.
٩	٣٦٦م	فالنز	Victor the Sarmatian	magister equitum	–	القوط شمال الدانوب	Ammianus Marcellinus, p.336.

١٠	٣٦٩م	فالنز	**Victor** **Arinthaeus**	**magister equitum** **Magister Peditum** (٣٦٦-٣٧٨م)	**Consul** ؟	القوط شمال الدانوب	**Ammianus Marcellinus**, p.337.
١١	٣٧٤م	فالنز	**Victor** **Urbicius**	**magister equitum** **dux Mesopotamiae**	**Consul** ؟	الفرس	**Ammianus Marcellinus**, pp.390–391.
١٢	٣٧٧-٣٧٨م	فالنز	**Victor**	**magister equitum**	**consul**	الفرس	**Ammianus Marcellinus.**, p.422
١٣	٣٨٣م	ثيودوسيوس الأول	**Sporacius**	؟	؟	الفرس	**John Lydus**, **p**.215.
١٤	٣٨٣م	ثيودوسيوس الأول	**Stilicho the Vandal**	ضابط بارز في فرقة الحرس الإمبراطوري.	؟	الفرس	**Errington**, *Roman Imperial Policy*, **p**.39; **PLRE**, **I**, **p**.854.
١٥	٣٨٣م	ثيودوسيوس الأول	**Anthemius**	؟ **magister officiorum** في يناير ٤٠٤م	؟ **patricus** في ٤٠٦م	الفرس	*PLRE*, **II**, **p**.94–95.
١٦	٤٠٩م	ثيودوسيوس الثاني	**Maruthas**	أسقف ميسوبوتاميا	؟	الفرس	**Socrates**, **pp**.340–342.
١٧	٤١٢م	ثيودوسيوس الثاني	**Olympiodorus**	مؤرخ	؟	الهون في الدانوب الأوسط	**Olymiodorus**, **p**.183.
١٨	٤١٩م	ثيودوسيوس الثاني	**Helion** **Maximin**	**magister officiorum** (نوفمبر ٤١٤م- أغسطس ٤٢٧م) مساعد **Ardaburius** قائد الشرق	**patricus** ٤٢٤م أو ٤٢٥م ؟	الفرس	**Sozomen**, **pp**.354–355.
١٩	٤٢٢م	ثيودوسيوس الثاني	**Helion** **Anatolius**	**magister officiorum** **magister militum per Orientem**	؟ ؟	الفرس	**Theophanes**, **p**.136.
٢٠	٤٢٢م	ثيودوسيوس	**Anatolius** (منفرد ودون	**magister militum per**	؟	الفرس	**Procopius**, **I**, **pp**.11–12;

		الثاني	(رفقة	Orientem			
٢١	٤٢٤م	ثيودوسيوس الثاني	Hellion	magister officiorum	patricus	سالونيك	Olymiodorus, p.207.
٢٢	٤٢٥م	ثيودوسيوس الثاني	Hellion	magister officiorum	patricus	روما	Olymiodorus, p.207.
٢٣	٤٣٨م	ثيودوسيوس الثاني	Plinthas the Goth Epigenes	magister militum praesentalis magister memoriae	consul ٤١٩م ؟	آتيلا زعيم الهون على نهر الدانوب	Priscus, pp.225-226.
٢٤	قبل ٤٤٣م	ثيودوسيوس الثاني	؟	عضو سناتو	consul	آتيلا	Priscus, p.235.
٢٥	٤٤٣م	ثيودوسيوس الثاني	Anatolius Vigilas	magister militum per Orientem مترجم	consul ٤٤٠م ؟	آتيلا	Priscus, pp.237, 239,253.
٢٦	٤٤٩م	ثيودوسيوس الثاني	Maximinus Vigilas Priscus	؟ مترجم مؤرخ	؟ ؟ ؟	آتيلا	Pruscus, p.247.
٢٧	٤٥٠م	ثيودوسيوس الثاني	Anatolius Nomus	magister militum per Orientem magister officiorum (٤٤٣-٤٤٦م)	patricus ٤٤٧-٤٥١م patricus	آتيلا	Priscus, pp.297,299,301.
٢٨	٤٥٢م	مارقيان	Apollonius	أحد رفقاء زينون بمرتبة قائد strategos	؟	آتيلا	Priscus, p.315.
٢٩	٤٥٦م	مارقيان	Belda	أسقف أريوسي	؟	جيزريك زعيم الواندال في قرطاج	Priscus, p.333.
٣٠	٤٦٧م	ليو الأول	Phylarcus	؟	؟	جيزريك	Priscus, p.361.
٣١	٤٧٣م	ليو الأول	Telogius	silentiarius		ثيودوريك سترابو زعيم القوط الشرقيين في تراقيا	Malchus, p.407.
٣٢	٤٧٦م	زينون	Severus	عضو سناتو	patricus	جيزريك زعيم الواندال	Malchus, p.411.
٣٣	٤٧٩م	زينون	Julianus- Philoxenus-	؟ ؟	؟ ؟	ثيودوريك بن فالامير زعيم القوط	Malchus, p.433.

						الشرقيين	
٣٤	٤٧٩م	زينون	Artemidorus– Phocas–	سكرتير زينون وقتما كان قائدا للجيش ؟	؟ ؟	ثيودوريك بن ثيودومير	Malchus, p.437.
٣٥	٤٧٩م	زينون	Adamantius ؟	والي القسطنطينية magistrianus	patricus &consul ؟	ثيودوريك بن ثيودومير	Malchus, pp.439,443.
٣٦	نهاية ٤٧٩م	زينون	؟	magistrianus	؟	ثيودوريك سترابو	Malchus, p.451.
٣٧	نهاية ٤٧٩م	زينون	Pelagius	silentiarius	patricus ٤٩٠م	ثيودوريك سترابو	Malchus, p.451; Marcellinus, p.106.
٣٨	نهاية ٤٨٢م	زينون	Uranius	agens in rebus	؟	سيمبليكيوس Simplicius أسقف روما	Zachariah of Mitylene, p125.
٣٩	٤٨٤م	زينون	Uranius	agens in rebus	؟	هونريك ملك الواندال في قرطاج	Victor of Vita, p.77.
٤٠	٤٧٦-٤٨٤م	زينون	Eusebius	magister officiorum ٤٧٤م	؟	الفرس	Procopius, I, pp.15-17.
٤١	٥٠٢م	أناستاسيوس	Euphrasius	؟	؟	الحارث الكندي	Nonnosos, p.27.
٤٢	نهاية ٥٠٢م	أناستاسيوس	ابن Rufinus Silvanus	magister militum per Thracias	patricus ٥٢٥م	الفرس	Joshua the Stylite, p.38.
٤٣	٥٠٤-٥٠٥م	أناستاسيوس	Leon	؟	؟	الفرس	Joshua the Stylite, p.66.
٤٤	٥٠٦م	أناستاسيوس	Celerius	magister officiorum	consul ٥٠٨م	الفرس	Procopius, I, p.77.
٤٥	٥١٣-٥١٤م	أناستاسيوس	Uranius Polychranius & Martyrius	concellarius of – Celerius the magister officiorum موظفان مسئولان عن السفارات مع الهون	؟ ؟	الهون	John of Antioch, p.459; Marcellinus, p.38.
٤٦	٥١٦م	أناستاسيوس	Theopompus Severianus	comes domesticorum comes sacri consistori	؟ ؟	البابا هورميسداس والسناتو في روما	*Epistolae Romanorum Pontificum*, Ep.11, pp.764-765.

٤٧	بداية ٥٢٤م	جستين	Abraham ابن Euphrasius	أسقف	؟	المنذر	Zacharias of Mitylene, p.206; Nonnosos, p.27.
٤٨	٥٢٥م	جستين	Hypatius– Rufinus– ابن Silvanus	magister militum per Orientem magister militum per Thracias	patricus منذ ٥٢٥م patricus	الفرس	Procopius, I, pp.91–95.
٤٩	٥٢٦م	جستين	Probus	magister militum	patricus	الهون في Bosporus	Procopius, I, p.97.
٥٠	يونيو ٥٢٧م	جستين	Hypatius– Pharesmanes–	magister militum per Orientem magister militum per Orientem (٥٠٥–٥٠٦م)	patricus ؟	الفرس	Zacharias of Mitylene, p.206.
٥١	٥٢٧م	جستنيان	Hypatius Demetrius	أسقف إفسوس أسقف Philippi بمقدونيا (Liber Pontificalis, I, p.143)	؟ ؟	البابا في روما ثيوداهاد في توسكانيا	Procopius, pp.25–27, 33; Liber Pontificalis, I, p.143.
٥٢	٥٢٨م؟	جستنيان	Abraham ابن Euphrasius	؟	؟	قيس زعيم العرب	Nonnosos, p.27.
٥٣	مايو ٥٢٩م	جستنيان	Hermogenes السكيثي	magister officiorum (مايو ٥٢٩–نوفمبر ٥٣٣م)	consul & patricus مُنحا في مارس ٥٣٥م	الفرس	Malalas, pp.260, 262; Theophanes, pp.270–271, 273 n.14.
٥٤	مارس ٥٣٠م	جستنيان	Hermogenes Rufinus	magister officiorum magister militum per Orientem	؟ patricus	الفرس	Malalas, p.265; Theophanes, p.274.
٥٥	بعد يونيو ٥٣٠م	جستنيان	Rufinus Alexander	magister militum per Orientem Comes وعضو	patricus ؟	الفرس	Malalas, p.267; Procopius, I, pp.105, 141–145.

				السناتو			
٥٦	أوائل ٥٣١م	جستنيان	Hermogenes	magister officiorum	؟	الفرس	Procopius, p.165.
٥٧	٥٣١م	جستنيان	Julianus ـــــــــــــ ابن Nonnosos ابن Abraham Euphrasius	magistrianus (أسقف عند John of Ephesus, p.251.) ـــــــــــــ ؟	؟ ـــــــــــــ ؟	الأحباش Auxoumitai والحارث ملك الحميريين Homeriatae ـــــــــــــ قيس زعيم كندة ومعد	Malalas, p.268, and n.56; Procopius, I, p.193; Theophanes, p.361, 363 n.7. ـــــــــــــ Nonnosos, p.27
٥٨	بعد أبريل ٥٣١م	جستنيان	Rufinus– Strategios–	magister militum per Orientem ؟	patricus ؟	الفرس	Malalas, p.272.
٥٩	يونيو ٥٣١م	جستنيان	Hermogenes	magister officiorum	؟	الفرس	Procopius, I, p.197.
٦٠	بعد يونيو ٥٣١م	جستنيان	Rufinus	magister militum per Orientem	؟	الفرس	Malalas, p.272.
٦١	بعد يونيو ٥٣١م	جستنيان	Rufinus	magister militum per Orientem	؟	الفرس	Malalas, p.272.
٦٢	أواخر ٥٣١م	جستنيان	Hermogenes– Rufinus– Alexander– Thomas–	magister officiorum magister militum per Orientem وعضو Comes السناتو ؟	؟ Patricus ؟ ؟	الفرس	Procopius, p.203.
٦٣	سبتمبر ٥٣٢م	جستنيان	Hermogenes– Rufinus–	magister officiorum magister militum per Orientem	؟ patricus	الفرس	Marcellinus, p.44; Zachariah of Mitylene, pp. 231–232
٦٤	؟	جستنيان	Summus شقيق جوليان	dux Palaestinae	؟	المنذر	Procopius, I,

			المبعوث السابق إلي الأحباش والحميريين				pp.263-265.
٦٥	بعد ٥٣٢م	جستنيان	Areobindus- Uranius-	Ambassador ؟ طبيب وفيلسوف	؟ ؟	الفرس	Agathias, p.64.
٦٦	؟	جستنيان	؟	magistrianus	؟	روما	Malalas, p.269.
٦٧	٥٣٣م	جستنيان	Eulogius	؟	؟	Codas قوداس المستقل بسردينيا بعد تمرده ضد جيليمر	Procopius, II, p.99-101.
٦٨	٥٣٤م	جستنيان	Alexander كان مصاحبا لمبعوثي البابا هيباتيوس وديمتريوس	comes وعضو سناتو	–	آثالاريك وأمالاسونثا في ميناء Epidammus (رافنا)	Procopius, III, pp.27-29.
٦٩	أواخر ٥٣٤م	جستنيان	Peter التسالونيكي والإليري المولد	magister officiorum (ديسمبر ٥٤٢م)	؟	إيطاليا	Procopius, III, pp.33, 39-41; Cassiodorus, p.139.
٧٠	بداية ٥٣٦م	جستنيان	Athanasius شقيق Alexander السيناتور المرسل قبلا إلي أثالاريك. ——— Peter	؟ ——— الخطيب، عُين magister officiorum بعد السفارة مباشرة	؟ ——— ؟	ثيوداهاد	Procopius, III, pp.55-57; IV, p.63.
٧١	أواخر ٥٣٩م	جستنيان	Anastasius	مواطن بارز في مدينة دارا	؟	الفرس	Procopius, I, p.291.
٧٢	أوائل ٥٤٠م	جستنيان	Maximinus ——— Domnicus	عضو السناتو ——— comes domesticorum وعضو السناتو	con. & part. ——— consul & patricus	فيتيجيس ملك القوط في إيطاليا	Procopius, IV, p.125.
٧٣	٥٤٠م	جستنيان	John- ابن المبعوث السابق روفينوس من زوجة اسكيثية Julian-	comes angustiarum Ponici maris منذ عام ٥٢٨م ومقره في Hieron -سكرتير خاص secretis	consul -؟	الملك الفارسي في أنطاكية	Procopius, I, p.317.

٧٤	٥٤٠م–	جستنيان	أحد خصيان القصر يُدعى Euphratas من سلالة الأبخازيين	primicerius sacri cubiculi	؟	الأبخازيون	Procopius, V, p.81; Evagrius, p.221.
٧٥	٥٤٣م	جستنيان	–Constantianus من إليريا –Sergius من الرها –Stephanus من الرها	خطيب بالقسطنطينية خطيب بالقسطنطينية –طبيب	؟ ؟ ؟	الملك الفارسي المحاصر للرها	Procopius, I, pp.475, 497,501.
٧٦	٥٤٤م	جستنيان	Marcellas ابن اخته –Constantianus المرسل قبلا إلي فارس	قائد في الجبهة الشرقية خطيب بالقسطنطينية	؟ ؟	الفرس	Procopius, I, pp. 515-517.
٧٧	٥٤٤م	جستنيان	Constantianus Sergius	خطيب بالقسطنطينية خطيب بالقسطنطينية	؟ ؟	الفرس	Procopius, I, p.517.
٧٨	٥٥٠م	جستنيان	Peter	magister officiorum	patricus & consul	الفرس	Procopius, V, p.149.
٧٩	٥٥١م	جستنيان	Aratius	قائد عسكري (هارب من أرمينيا الفارسية إلى بيزنطة)	؟	Chinialon زعيم الهون الكوتريجور Cutrigur	Procopius, V, pp.241-243.
٨٠	٥٥١م	جستنيان	Leontius زوج ابنة Athanasius عضو مجلس السناتو	عضو سناتو	–	زعيم الفرنجة Theudibald	Procopius, V, p.313.
٨١	٥٥٦م	جستنيان	–Soterichus	قائد عسكري	؟	الشعوب البربرية المجاورة الخاضعة لملك لازيقا	Agathias, pp.85-86.
٨٢	٥٦١م	نارسيس قائد جستنيان	Pamphronius Bonus	أحد بطارقة الإمبراطور (من كبار الموظفين المدنيين في إيطاليا) المسئول عن الضياع الإمبراطورية Comes rei privatae في إيطاليا	patricus ؟	معسكر Ammigus قائد الفرنجة على نهر Attisus	Menander, p.49.
٨٣	٥٦١م	جستنيان	Peter Eusebius	magister officiorum ؟	Patricus ؟	الفرس	Menander, p.55; Theophanes, p.351, 352 n.22.
٨٤	٥٦٧م	جستين الثاني	John	numerarius موظف مالي	patricus	الفرس	Menander, p.97.

			Timotheus	؟	؟		
٨٥	ربيع ٥٦٧م	جستين الثاني	**Timotheus**	؟	؟	فارس	**Menander**, **p**.105.
٨٦	٥٦٨م	جستين	**Vitalian** **Comitas**	المترجم ؟	؟ ؟	الآفار	**Menander**, **p**.133.
٨٧	٥٦٩م	جستين الثاني	**Zemarchus** من **Cilicia**	**magister militum per Orientem**	؟	قبيلة الترك (الغربيين) **Turchios**	**John of Ephesus**, **pp**.424,426,428; **Menander**, **p**.117.
٨٨	أوائل ٥٧٤م	الإمبراطورة صوفيا	**Zacharias**	طبيب القصر	؟	الفرس	**Menander**, **p**.159.
٨٩	أواخر ٥٧٤م	تيبريوس	**Trajan**– **Zacharias**–	**quaestor**– وعضو مجلس سناتو –طبيب القصر	**Patricus** ؟	الفرس	**Evagrius**, **p**.271; **Menander**, **pp**.161, 197.
٩٠	؟	تيبريوس	**Bacchus** ابن ثيودور	؟	؟	الفرس	**Evagrius**, **p**.274 **n**.53; **Menander**, **p**.165.
٩١	٥٧٦م	تيبريوس	**Valentinus**	أحد أفراد فرقة الحرس الإمبراطوري ربما سباثاريوس	؟	الآفار (شمال القوقاز)	**Menander**, **pp**.49–51.
٩٢	٥٧٦م	تيبريوس	**Peter** ابن **Theodore** الـ **Magister officiorum** في عصر جستنيان **Peter & John** **Zacharias**	**magister officiorum** (٥٦٦؟–٥٧٦م) (عند حنا الإفسوسي **silentiarius**) (عند ميناندر **comes sacrarum largilionum** والذي تقلد قبلا وظيفة الماجستير أوفيكيوروم خلفا لأبيه) ؟ طبيب القصر	**patricus** **patrici** (عند حنا الإفسوسي قناصلة) ؟	الفرس	**Menander**, **pp**.181–192; **Theophylact**, **p**.96; **John of Ephesus**, **pp**.293, 391, 403.
٩٣	٥٧٩م	تيبريوس	**Zacharias** **Theodorus**–	طبيب القصر –أحد فرقة الحرس الإمبراطوري، مُنح مرتبة	البرايتورية الشرفية **ex– prefect**	الفرس	**Menander**, **pp**.205–213.

				القائد قبل مغادرته بالسفارة			
٩٤	٥٨١م	تيبريوس	**Zacharias**	طبيب القصر	**Ex-prefect**	الفرس	**Menander**, **p**.229.
٩٥	٥٨١م	تيبريوس	**Narses** من أرمينيا	**protospatharius**	؟	الآفار	**John of Ephesus**, **p**.443.
٩٦	أواخر ٥٨١م	تيبريوس	**Calistrus**	**praefectus per Illyricum**	؟	الآفار	**John of Ephesus**, **p**.444.
٩٧	٥٨٣م	موريس	**Elpidius** ────── **Komentiolos** من تراقيا	عضو مجلس سناتو وبرايتور صقلية **Praetor Siciliae** ────── رجل بارز في فرقة الحرس الإمبراطوري	**vir illustris patricus)** عند ثيوفانيس) ؟	الآفار	**Theophylact**, **p**.25 **and nos**. 26,27; **Theophanes**, **p**.375 **and n**.5.
٩٨	٥٨٤م	موريس	**Elpidius**	عضو مجلس السناتو وبرايتور صقلية	**vir illustris patricus**	الآفار	**Theophylact**, **p**.28.
٩٩	٥٩٤-٥٩٥م	بريسكوس قائد جيش موريس	**Theodorus**	طبيب	؟	الآفار	**Theophylact**, **p**.176; **Theophanes**, **p**.397.
١٠٠	٥٩٥م	موريس	**Probus**	أسقف خلقدونية	؟	الفرس	**Theophylact**, **p**.154.
١٠١	٥٩٨م	موريس	**Harmaton** (**Harmatzon** عند ثيوفانيس)	؟	؟	الآفار	**Theophylact**, **p**.200; **Theophanes**, **p**.403.
١٠٢	؟	موريس	**George**	الوالي البرايتوري للشرق	؟	الفرس	**Theophylact**, **p**.209
١٠٣	أبريل ٦٠٣م	فوقاس	**Lilius** (**Bilios** عند ثيوفانيس) وأحد الداعمين لتمرد فوقاس.	؟	؟	الفرس	**Theophylact**, **p**.234; **Theophanes**, **p**.419.

مصادر ومراجع البحث

أولا. المصادر الأجنبية:

-Agathias, *The Histories*, trans. J.D. Frendo, New York, 1975.

-Ammianus Marcellinus, trans. J.C. Rolfe, 3 vols., Loeb Classical Library, London, Cambridge, Mass., 1935-1939, I; *The Roman History of Ammianus Marcellinus*, trans. C.D. Yonge, London, 1902; *The Later Roman Empire A.D.354-378*, trans. W. Hamilton, Penguin Books, London, New York, 1986.

-"Anastasii impratoris ad Hormisdam", in: *Epistolae Romanorum Pontificum genuinae et quae ad eos scriptae sunt a S. Hilaro usque ad S. Hormisdam*, ed. A. Thiel, tomus I (461-523 AD), Brunsbergae, 1868, ep. XI, pp.764-765.

-Anonymous, "The Anonymous Byzantine Treatises on Strategy", in: *Three Byzantine Military Treatises*, ed. & trans. G. T. Dennis, Washington, D.C., 1985, pp.1-136.

-Cassiodorus, *The Variae of Mangus Aurelius Cassiodorus Senator*, trans. S.J.B. Barnish, Liverpool, 1992.

-*Chronicon Paschale 284-628 A.D.*, trans. M. & M. Whitby, Liverpool, 1989.

-Constantine Porphyrogennetos, *The Book of Ceremonies*, trans. A. Moffatt & M. Tall, Canberra, 2012.

-Corippus, ed. I. Bekker, *CSHB*, Bonn, 1836.

-Eunapius, *Testimonia*, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.2-150.

-*The Lives of the Sophists*, trans. W.C. Wright, London, New York, 1922.

-Evagrius Scholasticus, *The Ecclesiastical History*, trans. M. & M. Whitby, Liverpool, 2000.

-Georgius Cedrenus, *Historiarum Compendium*, *CSHB*, ed. I. Bekker, Bonn, 1838, I.

-John of Antioch, *Ioannis Antiocheni Fragmenta Quae Supersunt Omnia*, ed. & trans. S. Mariev, Berlin, 2008.

-John of Ephesus, *The Third Part of the Ecclesiastical History*, trans. R.P. Smith, Oxford, 1860.

-John Lydus, *On Powers or the Magistarcies of the Roman State*, trans. A.C. Bandy, Philadelphia, 1983.

-John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys & R. Scott, Melbourne, 1986.

-Joshua the Stylite, *The Chronicle of Joshua the Stylite. Composed in Syriac A.D. 507*, trans. W. Wright, Cambridge 1882.

-Julian, "On Behalf of the Argives", in: *The Works of the Emperor Julian*, trans. W.C. Wright, 3 vols, The Loeb Classical Library, London, 1913-1923, I, pp.93-96.

-*Liber Pontificalis*, *The Book of the Popes*, trans. L.R. Loomis, New York, 1916, I.

-Libanius*'s Progymnasmata: Model Exercises in Greek Prose Composition and Rhetoric*, trans. C.A. Gibson, Atlanta, 2008.

-Malchus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.402-462.

-Marcellinus, *The Chronicle of Marcellinus*, trans. B. Croke, Sydney, 1995.

-Menander, *The History of Menander the Guardsman*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1985.

-Nonnosos, in: Photius, The *Bibliotheca*, trans. N.G. Wilson, London, 1994.

-*Notitia Dignitatum*, ed. O. Seeck, Berlin, 1876.

-Olympiodorus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.152-220.

-Peter the Patrician, Frg. 13-14, trans. B. Dignas & E. Winter, *Rome and Persia in Late Antiquity: Neighbours and Rivals*, Cambridge, 2007, pp.122-125.

-Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Leiden, Boston, 2007.

-Priscus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R.C. Blockley, Liverpool, 1983, pp.222-400.

-Procopius, *History of the Wars*, 5 vols., ed. & trans. H.B. Dewing, The Loeb Classical Library, Cambridge Mass., London, 1992, I.

-Socrates, *The Ecclesiastical History of Socrates or History of the Church from the accession of Constantine, A.D.305 to the 38th year of Theodosius II*, London, 1853.

-Sozomen, *The Ecclesiastical History of Sozomen or History of the Church from A.D. 324 to A.D.440*, trans. E. Walford, London, 1855.

-Theodoretus of Cyrus, *A History of the Church from A.D. 322 to the death of Theodore of Mopsuestia A.D. 427*, London, 1843.

-Theophanes Confessor, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997.

-Theophylact Simocatta, *The History of Theophylact Simocatta*, trans. M. & M. Whitby, Oxford, 1986.

-*The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitution*, trans. C. Pharr, Princeton, 1952.

-Victor of Vita, *History of the Vandal Persecution*, trans. J. Moorhead, Liverpool, 2006.

-Zachariah of Mitylene, *The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene*, trans. F.J. Hamilton & E.W. Brooks, London, 1899.

-Zosimus, *The New History*, trans. R.T. Ridley, Sydney, 2006.

ثانيا. المراجع الأجنبية:

-Blockely, R. C., "Doctors as Diplomats in the Sixth Century A.D.", *Florilegium* 2(1980), pp.89-100.

-*East Roman Foreign Policy. Formation and Conduct from Diocletian to Anastasius*, Leeds, 1992.

-Boak, A.E.R., *The Master of the Offices in the Later Roman and Byzantine Empires*, New York, London, 1919.

-Bury, J.B. "Magistri Scriniorum, ἀντιγραφης, and ρεφερενδάριοι", *Harvard Studies in Classical Philology* 21(1910), pp.23-29.

-"The Notita Dignitatum", *Journal of Roman Studies* 10(1920), pp.131-15.

-*History of the Later Roman Empire from the Death of Theodosius I to the Death of Justinian (A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1923, I,

-Chrysos, E., "Byzantine Diplomacy, A.D. 300-800: Means and Ends", in: *Byzantine Diplomacy: Papers from the Twenty-Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Cambridge, March 1990*, ed. J. Shepard & S. Franklin, Variorum, Hampshire, 1992, pp.25-39.

-Croke, B., "Anatolius and Nomus: Envoys to Attila", *Byzantino Slavica* 42(1981), pp.159-170.

-Delgado, A.F., "Capitis Deminutio: Exile, Banishment and Punishments to Ambassadors during Justinian's Era", *Porphyra. Confronti su Bisanzio, I, a cura di Elodie Guilhem: Rencontres annuelles des doctorants en études byzantines*, 2012, pp.40-61.

-Dimitroukas, I., "The Trip of the Great Persian Embassies to Byzantium during the Reign of Justinian I (527-565) and its Logistics", *Byzantina Symmeikta* 18(2008), pp.171-184.

-Errington, R.M., *Roman Imperial Policy from Julian to Theodosius*, Chapel Hill, 2006.

-Ganshof, F.L., "Note sur les origins byzantines de titre 'Patricius Romanorum'", *Annuaire de l' institute de philology et l' histoire orientales et slaves* (Mélanges Henri Gregoire) 10(1950), pp.261-82.

-Garsoïan, "Abchasia*", Oxford Dictionary of Byzantium*, I, p.3.

-Gillett, A., *Envoys and Political Communication in the Late Antique West 411-533*, Cambridge, 2003.

-Gómez, M.P.S., "Constantine, Constance and the *Comes Rei Militaris* (306-350)", *https://www.academia.edu/12441003/Constantine_Constans_and_the_Comes_Rei _Militaris_306-350*

-Groeneveld, E., *A Game of Power: Courtly Influence on the Decision-Making of Emperor Theodosius II (408-450)*, MA. Thesis, Utrecht Univeristy, 2013.

-Hugh, E., "Illus and the Imperial Aristocracy under Zeno", *Byzantion* 70(2000), pp.393-407.

-Jones, A.H.M., *The Later Roman Empire 284-602: A Social, Economic and Administrative Survey*, 3 vols., Oxford, 1964.

-Kosinski, R., *The Emperor Zeno: Religion and Politics*, Cracow, 2010.

-Kulikowski, M., "The Notitia Digintatum as a Historical Sources", *Historia* 49(2000), pp.358-377.

-Kuosmane, P., *The Nature of Nomadic Power: Contacts between the Huns and the Romans during the Fourth and Fifth Centuries*, Ph.D. Thesis, University of Turku, 2013.

-Lee, A.D., *Information and Frontiers: Roman Foreign Relations in Late Antiquity*, Cambridge, 1993.

-"Treaty-Making in Late Antiquity" in: *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France, Cambridge, 2008, pp.107-119.

-Lemcke, L., *Imperial Transportation and Communication from the Third to the Late Fourth Century: The Golden Age of the Cursus publicus*, M.A. thesis, University of Waterloo, Ontario, 2013.

-Lounghis, T.C., *Les ambassades byzantines en occident depuis la foundation des états barbares jusqu' aux croisades (407-1096)*, Athens, 1980.

-Lyons, E. Z., *Hellenic Philosophers as Ambassadors to the Roman Empire: Performance, Parrhesia and Power,* Ph. D. Thesis, The Univeristy of Michigan, 2011.

-Mathisen, R. W., "Patricians as Diplomats in Late Antiquity", *Byzantinische Zeitschrift* 79/1(1986), pp.35-49.

-"Patrici, episcope, et sapientes: le choix des ambassadeurs pendant l'antiquité tardive dans l'empire romain et les royaumes barbares", in: *Ambassadeurs at ambassades au Coeur les relations diplomatiques, Rome-Occident Médiéval-Byzance (VIIIe s. avant J.-C-XIIe s. après J.-C.)*, ed. A. Becker & N. Drocourt, Metz, 2012, pp.227-238.

-Maenchen-Helfen, J.O., *The World of the Huns: Studies in Their History and Culture*, ed. M. Knight, Berkeley, Los Angeles, London, 1973.

-Nechaeva, E., *Embassies, Negotiations, Gifts: Systems of East Roman Diplomacy in Late Antiquity*, Stuttgart, 2014.

-Németh, A., *Imperial Systematization of the Past: Emperor Constantine VII and his Historical Excerpts*, Ph.D. thesis, Central European University, Budapest, 2010.

-Nicks, F.K., *The Reign of Anastasius I (491-518)*, Ph. D. thesis, St. Hilda's College, Oxford, 1998.

-O'Hara, R., *An Assessment of the Notitia Dignitatum as a Historical Source for the Late Roman Bureaucracy*, Ph.D. thesis, National University of Ireland, Maynooth, 2013.

-Palme, B., "Notitia Dignitatum", *NFN Imperium and Officium. Comparative Studies in Ancient Bureaucracy and Officialdom*, University of Vienna, 2011.

-*PLRE: The Prosopography of the Later Roman Empire*, vol.1: A.D.260-395, J.R. Jones & R.Martindale &J. Morris, Cambridge, 1971; vol.2: A.D. 395-527, J.R. Matindale, Cambridge, 1980; vol.3(A&B): A.D. 527-641, J.R. Matindale, Cambridge, 1992.

-Pritsak, O., "Sarmatians", *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols., Oxford, 1991, III, p.1844.

-Salway, R.W.B., *The Creation of the Roman State, AD 200-340: Social and Administrative Aspects*, PH.D. Thises, The Queen's College, Oxford, 1994, pp.109-111.

-Stein, E., *Histoire du Bas-Empire*, Paris, 1949, II.

-Shahid, I.K., "Byzantium and Kinda", *Byzantinische Zeitschrift* 53/1(1960), pp.57-73.

-Smith, S., "Events in Arabia in the 6th Century AD", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 16(1954), pp.425-468.

-Stone, L., "Prosopography", *Daedalus* 100/1(1971), pp.46-71.

-Van Nuffelen, P., "John of Antioch, Inflated and Deflated. Or: How (Not) to Collect Fragmens of Early Byzantine Historians", *Byzantion* 82(2012), pp.427-450.

-Vasiliev, A., *Goths in the Crimea*, Cambridge, Mass., 1936.

-Ward, J.H., "The Notitia Dignitatum", *Latomus* 33(1974), pp.397-434.

-Whitby, M., "Byzantine Diplomacy: Good Faith, Trust and Co-operation in International Relations in Late Antiquity", in: *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France, Cambridge, 2008, pp.120-140.

ثالثا. المراجع العربية والمعربة:

-رأفت عبد الحميد، "قواعد الدبلوماسية البيزنطية"، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١.

-عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد الخامس (٢٠٠٦-٢٠٠٧م)، ص٣٣-٩٨.

-نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨٥م.

-وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية بين الاستمرارية والانقطاع"، بحث منشور ضمن كتاب بيزنطة: قراءة في التاريخ السياسي والإداري، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٣-٦٣.